رسائل أثناسيوس الرسولي

عن

الروح القدس

تعريب

القمص مرقس داود

ملتزم الطبع و النشر مدارس الأحد بالجيزة
تليفون ٨٩٥٧٠٥



مقدمة المعرب

لم تسلم الكنيسة من الضلالات والهرطقات منذ تأسيسها إلى الآن. ففي كل عصر قام بعض المضللين يهددون سلامتها. لكن من جميعهم أنقذها الرب:

وفي أيام أثناسيوس لم يكن أريوس هو الوحيد الذي أذاع تعاليمه الجنونية إذ قال ان الرب يسوع مخلوق، بل قام غيره ممن نسجوا على منواله فتهجموا على الروح القدس قائلين أيضا أنه مخلوق ومن ضمن هؤلاء جماعة المتقلبين Tropici الذين اعتقدوا أن الروح القدس ليس مخلوقا فقط لكنه انما هو أحد الأرواح الخادمة، ويختلف عن الملائكة في الرتبة فقط (١ : ١)، وانه يختلف عن الابن وينفصل عنه (١ : ٩) بل أنه من طغمة الملائكة، وأنه ملاك أعظم من سائر الملائكة (١ : ١٠)

وكما تجند أثناسيوس لمحاربة البدعة الأريوسيه تجند أيضا لمحاربة هذه البدعة الجديدة فكتب هذه الرسائل الأربع. ويرجح أنه كتبها أثناء نفيه الثالث الذي حدث بين سنة ٣٥٦ و ٣٦١ إذ كان في البرية (١ : ١) مطاردا من أعدائه، وأرسلها إلى صديقه الحميم سرابيون أحد أساقفة الوجه البحري الذي كان صديقا حميماً أيضاً لأنطونيوس.

وإن كانت كنائس كثيرة فى العالم قد تبارت فى ترجمة رسائل ومؤلفات أثناسيوس إلى لغاتها فالأحرى بنا نحن أحفاده أن نظهر هذه الكنوز المخبأة التى تعتبر بحق مفخرة المسيحية فى كل الأجيال .

لهذا أقدم هذه الرسائل إلى القراء الأعزاء راجياً أن تكون بركة لهم وتثبيتا لأولئك الذين قد تزعزع ايمانهم أوشك سيما فى هذه الأيام التى حرك فيها الشيطان بعضاً من أعوانه لينفث فى الكنيسة سموم التعاليم المضللة .

ليتمجد اسم الله القدوس المبارك فى كل مجهود ، وليرتفع شأن الكنيسة المسيحية فى العالم كله ، وكنيستنا القبطية المجيدة بصفة أخص ، وليعد اليها الرب أيام أثناسيوس وغيره من الأبطال الأوائل فينبعث نورها مرة أخرى إلى كل أرجاء العالم

القس مرقس داود

رسـائل
القديس أثناسيوس الرسولى
إلى
الأسقف سرابيون
عن
الروح القـدس

الرسالة الأولى

١

لقد سلمت إلى رسالة عطوفتكم فى البرية(١) . وبالرغم من أن الاضطهاد الموجه نحونا شديد المرارة فى الواقع ، وبالرغم من أنه قد أجرى تفتيش دقيق عنا بواسطة أولئك الذين يطلبون قتلنا فان رب الرأفات وإله كل تعزية(٢) استخدم حتى هذا لتعزيتنا وإذ تذكرت عطوفتكم وكل أصدقائى تخيلت انكم كنتم معى

(١) المرجح أنه يقصد برية وادى النطرون التى كان كثيراً ما يلجأ اليها من وجه العدو

(٢) ٢ كو ١ : ٣

فى تلك اللحظة . ولقد سررت جداً فى الواقع إذ تلقيت رسالتكم لكننى إذ قرأتها بدأت عزيمتى تخور ثانية بسبب أولئك الذين أقاموا أنفسهم لمحاربة الحق : أيها الحبيب المشتاق اليك بالحق لقد كتبت - وانت كذلك متضايق حزين - أن أشخاصا معينين إذ تركوا الأريوسيين بسبب تجديفهم على ابن الله ، يقاومون الروح القدس قائلين أنه ليس أحد المخلوقات(١) فقط بل هو فى الواقع أحد الأرواح الخادمة ، ويختلف عن الملائكة فى الرتبة فقط . وهم فى هذا يدعون أنهم يحاربون الأريوسيين لكنهم فى الواقع يقاومون الايمان المقدس . لانه كما أن الاريوسيون بانكارهم الابن ينكرون الآب أيضاً ، هكذا الحـــال أيضا مع هؤلاء الأشخاص ، فانهم إذ يتكلمون رديئا على الروح القدس يتكلمون رديئا أيضا على الابن .

وهكذا اقتسم الطرفان فيما بينهما الهجوم على الحق . وإذ

---

(١) ان جريمة جماعة المتقلبين فى نظر أثناسيوس مزدوجة أولا أنهم يدعون الروح القدس أحد المخلوقات ، وثانيا أنهم يقولون بأن الروح القدس يختلف عن الملائكة فى الرتبة فقط وليس فى الطبيعة .

يقاوم الطرف الواحد الابن ، ويقاوم الطرف الآخر الروح القدس فانهما كلاهما يوجهان نفس التجديف على الثالوث المقدس .

وإذ فكرت فى هذه الأمور وتأملت فيها مليا ثبطت عزيمتى أكثر فأكثر ، لأن ابليس وجد فرصة أخرى ليضحك على من ينفذون حماقته فعزمت على التزام الصمت فى هذا الظرف الحرج لكن بسبب رجاء قداستكم ، وبمناسبة انتشار روح البدع والتهور الشيطانى الذى أظهره هؤلاء القوم ، أكتب هذه الرسالة بايجاز بالرغم من شعورى بعدم المقدرة على القيام بهذه المهمة وانما قصدت أن تتخذ من الحقائق التى أقدمها لك حججا فى دفاعك ، وتكمل ما نقص منها بفضل تقدمك فى المعرفة ، وبذلك تصبح الحجج ضد هذه البدعة الدنسة الكاملة .

٢

إن طريقة التفكير هذه ليست غريبة فى الواقع على الاريوسيين . فانهم — إذ أنكروا كلمة الله — كان طبيعيا أن يتكلموا بنفس الشرور عن روحه . لذلك فليس ضروريا أن نقول شيئاً آخر فى الرد عليهم ، إذ يكفى ما سبق أن قيل عنهم . لكن من الصواب أننا بطريقة ما (كما يقولون هم أنفسهم) نقدم إجابة سديدة لأولئك

الذين خدعوا فيما يختص بالروح القدس . ويحق لنا أن نعجب من حماقتهم ، فانهم طالما كانوا قد رفضوا التسليم بأن ابن الله أحد المخلوقات (وطبيعى أن آراءهم فى هذا الصدد سليمة) فكيف احتملوا أن يسمعوا بأن يدعى روح الابن أحد المخلوقات ؟ فانهم بسبب وحدة الكلمة مع الآب رفضوا التسليم بأن الابن ضمن المخلوقات ، بل يعتبرونه بحق خالق المخلوقات . فلماذا يقولون إذاً أن الروح القدس أحد المخلوقات مع أن وحدته بالابن تماثل وحدة الابن بالآب ؟ لماذا لم يدركوا بأنهم كما يؤكدون بأن الله واحد وذلك بعدم فصلهم الابن عن الاب فانهم بفصلهم الروح عن الكلمة لا يعودون يؤكدون أن اللاهوت فى الثالوث واحد ، لأنهم يمزقونه ، ويخرجون معه طبيعة غريبة عنه ، ومن نوع مختلف ، ويضعونه فى مستوى واحد مع المخلوقات . بهذا لا يبقى الثالوث واحداً بل مكوناً من طبيعتين مختلفتين ، إذ أن الروح – كما يتوهمون – من جوهر مختلف . وأى تعليم هذا الذى يزعم بأن الله مكون من خالق وخليقة ؟ فهو إما أن لا يكون ثالوثاً بل ثنائياً مع التغاضى عن الخليقة ، أو إن كان ثالوثاً – وهذه هى حقيقة الأمر الواقع – فكيف يحصون الروح القدس – أحد الثالوث – ضمن المخلوقات التى أتت بعد الثالوث ؟ لأن هذا معناه – وتكرر الكلام مرة أخرى – فصل الثالوث وانحلال له .

لهذا فانهم بتفكيرهم السقيم عن الروح القدس يعتل تفكيرهم عن الابن أيضا . لأنهم إذا استقام تفكيرهم عن الكلمة استقام تفكيرهم أيضا عن الروح المنبثق من الآب ، والذى ـ بفضل علاقته بالابن ـ أعطاه للتلاميذ وكل من يؤمن به . وهم بأخطائهم هذه لا يستقيم إيمانهم بالآب أيضا . لأن الذين « يقاومون الروح » كما قال استفانوس الشهيد العظيم(١) ينكرون الابن أيضا . والذين ينكرون الابن ليس لهم الآب أيضا(٢) .

٣

وأين تجدون عذرا لمثل هذه الوقاحة حتى إنكم لاتخافون عما قاله الرب « من جدف على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى »(٣) . فالأريوسيون إذ أساءوا فهم تجسد الكلمة والأقوال التى قيلت نتيجة للتجسد اتخذوا منها حجة لهرطقتهم ، فحكم عليهم كأعداء الله ، واعتبروا بأنهم ينطقون بأمور هى فى الواقع عاطلة وأرضية(٤) .

أما أنتم فمن أين خدعتم ؟ وممن سمعتم عن هذه الضلالة ؟ وبأية

(١) اع ٧ : ٥١ و ٥٢ . (٢) ١يو ٢ : ٢٣ .
(٣) مر ٣ : ٢٩ ، مت ١٢ : ٣٢ . (٤) يو ٣ : ٣١ .

كيفية سقطتم فيها ؟ يقولون [إننا نجد فى نبوة عاموس قول الرب « أنا هو مؤسس الرعد وخالق الروح(١) ومعلن للإنسان مسيحه ، الذى يصنع الفجر والضباب . الذى يصعد إلى أعالى الأرض . الرب الإله الكلى القدرة اسمه »(٢) كذلك صدقنا الأريسيون عندما قالوا إن الروح القدس أحد المخلوقات] .

هذه هى الفقرة التى تقرأونها فى عاموس . لكن أما قرأتم فى سفر الأمثال « الرب خلقنى أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم »(٣) أم إنكم قرأتموها ؟ إنكم تفسرون هذه العبارة وفق الحق ، ولذلك لا تقولون عن الكلمة أنه مخلوق . أما عبارة النبي فانكم لا تفسرونها . فانكم بمجرد سمع كلمة « الروح » تفترضون أن الروح القدس دعى مخلوقا . مع أنه واضح فى سفر الأمثال أن الحكمة هى التى تقول « خلقت » ومع ذلك فانكم تحسنون التفسير ، إذ تفسرون الآية بحيث لا تضعون الحكمة الخالقة ضمن الخليقة . أما الآية التى فى نبوة عاموس فإنها لا تشير

---

(١) وترجمت « الريح » فى ترجمة بيروت والترجمة الانكليزية السبعينية وترجمة اليسوعيين .

(٢) عاموس ٤ : ١٣ . (٣) ام ٨ : ٢٢

إلى الروح القدس ، إنما تتحدث عن روح . وبالرغم من أن الكتاب المقدس ذكر كلمة الروح بمعان كثيرة مختلفة ، وبالرغم من أن الآية يمكن تفسيرها تفسيراً قويما . فلماذا تفترضون أن الروح القدس هو المقصود فى نبوة عاموس ، وذلك إما حبا منكم فى النزاع ، أو لأنكم تسممتم بلدغة الحية الأريوسية ؟ وليس ذلك إلا لأنكم لا تريدون أن تنسوا بأن تعتبروه مخلوقا .

٤

قولوا لنا إذاً أتوجد فقرة فى الكتاب المقدس الإلهى أشير فيها إلى الروح القدس بمجرد كلمة « روح » بدون إضافة كلمة أو حرف إليها مثل الله ، أو الآب ، أو ياء المتكلم ، أو المسيح نفسه ، أو الابن ، أو منى (أى من الله) أو أداة التعريف (ال) فلا يقال عنه « روح » بل « الروح » ، أو الاصطلاح الكامل « الروح القدس » ، أو « روح الحق » (أى روح الابن الذى يقول « أنا هو الحق »(١)) حتى إنكم بمجرد سمع كلمة « روح » افترضتم أنها تعنى الروح القدس ؟

---

(١) يو ١٤ : ٦

أسقطوا من حسابكم الآن تلك المواضع التى فيها يعاد ذكر الأشخاص الذين سبق أن نالوا الروح القدس ، والأماكن التى فيها يذكر القراء الذين سبق أن تعلموا منه ولذلك فانهم لا يجهلون أمر من يسمعون عنه إذا ما أشير إليه مرة أخرى بمجرد كلمة « الروح » على سبيل التكرار والتذكر . فى هذه الحالات أيضا تذكر الكلمة بإضافة أداة التعريف (ال) إليها .

وبالإيجاز نقول إنه مالم تضف أداة التعريف (ال) أو إحدى الاضافات السابقة فان الكلمة لا يمكن أن تشير إلى الروح القدس . خذ مثلا ما كتبه بولس إلى أهل غلاطية « أريد أن أتعلم منكم هذا فقط أبأعمال الناموس أخذتم (قبلتم) الروح أم بخبر الإيمان »(١) . فماذا قبلوا إلا الروح القدس الذى يعطى للذين يؤمنون ويولدون ثانية « بغسل الميلاد الثانى » (٢) .

وعند ما كتب إلى أهل تسالونيكى « لا تطفئوا الروح »(٣) كان يتحدث إلى الذين يعرفون من هو الذى قبلوه ، لئلا ـ بسبب الإهمال يطفئوا نعمة الروح الذى كان قد اشتعل فى داخلهم

(١) غل ٣ : ٢
(٢) تى ٣ : ٥
(٣) اتس ٥ : ١٩

وعندما استخدم الانجيليون فى الأناجيل اصطلاحات بشرية عن المخلص من أجل الجسد الذى اتخذه وقالوا « أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا « من الروح » (١) « ثم أصعد يسوع إلى البريه من الروح » (٢) فان الكلمة تحمل نفس المعنى . لأن لوقا سبق أن قال « ولما اعتمد الشعب واعتمد يسوع أيضا وكان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة» (٣). هذه توضح جليا أن الروح القدس هو المقصود بكلمة « الروح » . وهكذا أيضا حينما اقترن اسم الروح القدس بالبشر - حتى وإن ذكر بدون أية اضافة لاسمه - فلا شك فى أن الروح القدس هو المقصود بالذات سيما عندما تضاف اليه أداة التعريف .

٥

أيمكنكم اجابة السؤال الذى قدم اليكم عما إذا كنتم تجدون فى أى مكان فى الاسفار الالهية ان الروح القدس قد اطلق عليه

---

(١) لو ٤ : ١

(٢) مت ٤ : ١ (٣) لو ٣ : ٢١ و ٢٢

بمجرد كلمة « روح » دون الاضافات السابق ذكرها ودون الصفات السابق تدوينها . انكم لا تستطيعون الاجابة . لانكم ان تجدوا أثراً لهذا فى الكتاب المقدس .

بل كتب فى سفر التكوين «وروح الله يرف على وجه المياه»(١) وبعد ذلك بقليل كتب « لا يبقى بعد روحى بين هؤلاء الناس لانهم جسد(٢) » . وفى سفر العدد يقول موسى لابن نون «لا تغر (هل تغار) انت لى . ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل الرب روحه عليهم »(٣) وفى سفر القضاة قيل عن عثنيئيل « فكان عليه روح الرب وقضى لاسرائيل »(٤) وقيل أيضا «فكان روح الرب على يفتاح »(٥) وقيل عن شمشون « فكبر الصبى وباركه الرب . وابتدأ روح الرب يرافقه (يحركه) » [٦] ، « فحل عليه روح الرب بقوة » [٧] ويترنم داود قائلا «روحك القدوس لا تنزعه منى » [٨] ويقول أيضا فى المزمور المائة والثانى والاربعين «روحك الصالح يهدينى فى أرض مستوية من أجل اسمك يارب » [٩] وكتب

---

(١) تك ١ : ٢ (٢) تك ٦ : ٣ (٣) عد ١١ : ٢٩
(٤) قض ٣ : ١٠ (٥) قض ١١ : ٢٩ (٦) قض ١٣ : ٢٤ و ٢٥
(٧) قض ١٥ : ١٤ (٨) مز ٥١ : ١١ (٩) مز ١٤٣ : ١٠ و ١١

فى أشعيا « روح الرب على لأن الرب مسحنى ... »[١] وأيضا قيل « ويل لكم أيها البنون المتمردون (ويل للبنين المتمردين) . هكذا يقول الرب أنتم تستشيرون استشارة (يجرون رأيا) وليس منى وتقطعون عهوداً (يسكبون سكيبا) وليس بروحى لتزيدوا خطية على خطية »[٢] وقيل أيضا « اسمعوا هذا . لم أتكلم من البدء فى الخفاء . منذ وجوده أنا هناك ، والآن السيد الرب أرسلنى وروحه »[٣] وبعد ذلك بقليل يتحدث قائلا « أما أنا فهذا عهدى معهم قال الرب روحى الذى عليك »[٤] ثم يضيف أيضا الكلمات التالية « لا سفير ولا ملاك بل الرب نفسه خلصهم لانه أحبهم وتراءف عليهم . هو نفسه فداهم وحملهم ورفعهم كل أيام الدهر ولكنهم تمردوا وأحزنوا روحه القدوس فتحول لهم عدوا[٥] ويتحدث حزقيال قائلا « وحملنى الروح وأتى بى إلى أرض الكلدانيين إلى السبى فى رؤية بروح الله »[٦].

وقيل فى دانيال « بعث الرب الروح القدس فى شكل شاب اسمه دانيال وصاح بصوت عظيم انى برىء من دم هذه المرأة »[٧]

---

(١) اش ٦١ : ١ (٢) اش ٣٠ : ١ (٣) اش ٤٨ ١٠ ١١
(٤) اش ٥٩ : ٢١ (٥) اش ٦٣ : ٩و١٠ (٦) حز ١١ : ٢٤
(٧) سوسنة ٤٥

ويقول ميخا «ان بيت يعقوب أغاظ روح الرب»(١) ويقول الله على لسان يوئيل . ويكون بعد هذه أنى أسكب من روحى على كل بشر» (٢) وينطق صوت الله على لسان زكريا « لكن اقبلوا كلامى وفرائضى التى أرسلتها بروحى عن يد عبيدى الأنبياء » وعندما يوبخ النبي الشعب بعد ذلك بقليل يقول « جعلوا قلوبهم عاصية لئلا يسمعوا شريعتى والكلمات التى أرسلها رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين »(٣)

هذه الأمثلة القليلة جمعناها من العهد القديم وقدمناها .

٦

ثم ابحثوا أيضا ما تضمنته الأناجيل وكتابات الرسل فتجدوا هنا أيضا أنه يوجد اختلاف كبير بين الأرواح ، وأن الروح القدس لا يطلق عليه مجرد كلمة « روح » بل تضاف اليه الإضافات السابق ذكرها .

فعندما اعتمد ربنا فى هيئة بشرية ، بسبب الجسد الذى لبسه قيل كما قدمنا أن الروح القدس نزل عليه . وعندما أعطاه لتلاميذه

---

(١) مى ٢ : ٧ (٢) يوئيل ٢ : ٢٨ (٣) زك ٧ : ١٢

قال لهم أقبلوا الروح القدس[١]. كذلك علمهم قائلا « وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شئ[٢] وبعد ذلك بقليل قال فى نفس الصدد « ومتى جاء المعزى الذى أرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الاب ينبثق فهو يشهد لى[٣] » . وقال أيضا « لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم »[٤]. وبعد ذلك بقليل قال « ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله »[٥]. ولكى يكمل فيه كل معرفتنا بالله ويضع طقس الانضمام للكنيسة[٦] الذى به اتحدنا بشخصه ، وبالآب . أوصى تلاميذه قائلا « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس »[٧]. وعندما وعدهم بإرساله إليهم ، أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم ،[٨]

---

(١) يو ٢٠ : ٢٢
(٢) يو ١٤ : ٢٦
(٣) يو ١٥ : ٢٦
(٤) مت ١٠ : ٢٠
(٥) مت ١٢ : ٢٨
(٦) أى طقس العمودية
(٧) مت ٢٨ : ١٩
(٨) اع ١ : ٤

وبعد أيام قليلة «ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة. وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين . وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار . واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا»(١).

كذلك أيضا بوضع أيدى الرسل كان الروح القدس يعطى لمن ولدوا ثانية . وبه تنبأ أغابوس قائلا «هكذا يقول الروح القدس»(٢). وقال بولس «التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه»(٣). وعندما اعتمد الخصى «خطف روح الرب فيلبس»(٤). وكتب بطرس قائلا «نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس . الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء . الذين تنبأوا عن النعمة التى لأجلكم . باحثين أى وقت أو ما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم إذ سبق

(١) اع ٢ : ١ — ٥ (٢) اع ٢١ : ١١
(٣) اع ٢٠ : ٢٨ (٤) ع ٨ : ٣٩

تشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها »[١]. وكتب يوحنا قائلا « بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا إنه قد أعطانا من من روحه »[٢].

وكتب بولس لأهل رومية قائلا « وأما أنتم فلستم فى الجسد بل فى الروح ، إن كان روح الله ساكنا فيكم . ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذاك ليس له . وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية وأما الروح فحياة بسبب الرب . وإن كان روح الذى أقام يسوع من الأموات ساكنا فيكم فالذى أقام المسيح من الأموات سيحيى أجسادكم المائتة أيضا بروحه الساكن فيكم »[٣]. وكتب لأهل كورنثوس قائلا « لأن الروح يفحص كل شىء حتى أعماق الله . لأن من من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه . هكذا أيضا أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله : ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله »[٤]. وبعد ذلك بقليل قال « أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله

(١) ١ بط ١ : ٩ — ١١ (٢) ١يو ٤ : ١٣
(٣) رو ٨ : ٩ — ١١ (٤) ١كو ٢ : ١٠ — ١٢

يسكن فيكم »[١] . وقال أيضا « لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح الهنا »[٢]. وقال أيضا « ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسم لكل واحد بمفرده كما يشاء »[٣] ثم يقول أيضا « وأما الرب فهو الروح . وحيث روح الرب هناك حرية »[٤]

وانظروا أيضا كيف يكتب لأهل غلاطية « لتصير بركة إبراهيم للأمم فى المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح»[٥] . ويقول أيضا « ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخا يا أبا الآب . إذاً لست بعد عبدا بل ابناً . وإن كنت ابنا فوارث لله بالمسيح »[٦]. وإلى أهل أفسس يقول « لا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم النداء »[٧]. ويكتب مرة أخرى قائلا « مجتهدون أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام»[٨] . وإلى أهل فيلبى يكتب بكل ثقة « فماذا . غير أنه على كل وجه سواء كان بعلة أم بحق ينادى

---

(١) ١ كو ٣ : ١٦ (٢) ١ كو ٦ : ١١ (٣) ١ كو ١٢ : ١١
(٤) ٢ كو ٣ : ١٧ (٥) غل ٣ : ١٤ (٦) غل ٤ : ٦و٧
(٧) اف ٤ : ٣٠ (٨) اف ٤ : ٣

بالمسيح وبهذا أنا أفرح . بل سأفرح أيضا ، لأنى أعلم أن هذا يؤول إلى خلاص بطلبتكم ومؤازرة روح يسوع المسيح . حسب انتظارى ورجائى إنى لا أخزى فى شىء»[١] . ويقول أيضا « لأننا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح ونفتخر فى المسيح يسوع »[٢] .

وإلى أهل تسالونيكى يشهد قائلا « إذا من يرذل لا يرذل إنسانا بل الله الذى أعطاكم أيضا روحه القدوس »[٣] . وإلى العبرانيين يقول « معلنا الروح القدس بهذا أن طريق الأقداس لم يظهر بعد مادام المسكن الأول له إقامة »[٤] . ويقول أيضا « فكم عقابا أشر تظنون أنه يحسب مستحقا من داس ابن الله الذى قدس به دنسا وازدرى بروح النعمة »[٥] ، كذلك يقول « لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد فكم بالحرى يكون دم المسيح الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة »[٦] .

---

(١) فى ١ : ١٨ — ٢٠ (٢) فى ٣ : ٣ (٣) ١ تس ٤ : ٨
(٤) عب ٩ : ٨ (٥) عب ١٠ : ٢٩
(٦) عب ٩ : ١٣ ، ١٤

وإلى أهل تسالونيكى يقول « وحينئذ سيستعلن الأثيم الذى يبيده الله بروح (بنفخة) فمه ويبطله بظهور مجده »[١] .

٧

انظروا كيف أشارت جميع الأسفار الإلهية إلى الروح القدس هل لاحظتم شيئاً من هذا القبيل فى قول النبى ؛[٢] . فان كلمة « روح » ، التى يذكرها هنا النبى ، مجردة حتى من أداة التعريف (ال) . ولذلك فانتم بلا عذر . لكنكم بسبب وقاحتكم المتناهية قد اخترعتم لأنفسكم استعارات ، وظننتم أن الروح الذى قيل عنه أنه خلق يعنى الروح القدس نفسه ، مع أنه كان ممكنا لكم أن تعرفوا حتى من علماء اللغة الفرق بين الأرواح . فالكتاب المقدس يتحدث عن روح الإنسان كما يقول داودنى المزمور « مع قلبى ناجيت وتعبت فى روحى »[٣] . ويقول باروخ فى صلاته « أيها الرب الضابط الكل إله إسرائيل هو ذا النفس فى الضيق وروح المتعبين تصرخ إليك »[٤] . وفى ترنيمة الفتية

---

(١) ٢ تس ٢ : ٨

(٢) أو : لماذا تؤولون قول النبى بهذه الكيفية .

(٣) مز ٧٧ : ٦

(٤) باروخ ٣ : ١

الثلاثة قيل « باركوا الرب يا أرواح ونفوس الأبرار »[١] . ويكتب الرسول قائل « الروح نفسه يشهد لأرواحنا إننا أولاد الله . فإن كنا أولادا فإننا ورثة أيضا »[٢] . ويقول ثانية « لا يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه »[٣] ، وفى الرسالة الأولى لأهل تسالونيكى يصلى قائلا « لتحفظ روحكم لأنفسكم وجسدكم كامله بلا لوم عند مجىء ربنا يسوع المسيح »[٤] .

كذلك يتحدث الكتاب المقدس عن أرواح الريح ، كما ورد فى سفر التكوين ، وأجاز الله روحا[٥] على الأرض فهدأت المياه ،[٦] وقيل فى سفر يونان فأرسل الرب روحا شديدة إلى البحر فحدث نوء عظيم فى البحر حتى كانت السفينة تتكسر»[٧] . وكتب فى المزمور المائه والسادس « أمر فأهاج روحا[٨] عاصفة فرفعت أمواجه »[٩] . وفى المزمور المائة والثامن والأربعين « سبحى الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللجج النار والبرد والثلج

---

(١) دا ٣ : ٨٦
(٢) رو ٨ : ١٦ و ١٧
(٣) اكو ٢ : ١١
(٤) اتس ٥ . ٢٣
(٥) أى ريحا
(٦) تك ٨ : ١
(٧) يونان ١ : ٤
(٨) مر ١٠٩ و ٢٥
(٩) أى لريح العاصفة .

والضباب . روح العاصفة[١] الصانعة كلمته[٢] »؟ وفى حزقيال قيل فى مرثاة صور «ملاحوك قد أتوا بك إلى مياه كثيرة . كسرتك روح الريح الجنوبية »[٣] .

٨

اقرأوا الأسفار المقدسة تجدوا أن كلمة « روح » مستعملة بالمعنى الوارد فى الأقوال الإلهية كما كتب بولس « الذى جعلنا خدام عهد جديد أكفاء ، لا خدام الحرف بل الروح ، لأن الحرف يقتل لكن الروح يحى »[٤] . لأن الظاهر هو المكتوب بالحروف . أما المعنى الذى يتضمنه فهو الذى يدعى الروح . كذلك أيضا « الناموس روحى »[٥] لكى — كما يقول أيضا لا نعبد « بعتق الحرف » بل « بجدة الروح »[٦] . ويقول نفس الكاتب عند تقديم الشكر « أشكر الله بيسوع المسيح ربنا . إذ أنا نفسى بذهنى أقدس ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطيه . إذاً لا شىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح لأن ناموس

(١) أى الريح العاصفة
(٢) مز ١٤٨ : ٨و٧
(٣) مز ٢٧ : ٢٦
(٤) ٢ كو ٣ : ٦
(٥) رو ٧ :١٤
(٦) رو ٧ : ٦

روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطيه والموت »[١] .

وإذا أراد فيلبس تحويل الخصى الحبشى من الحرف إلى الروح قال له « لعلك تفهم ما أنت تقرأ »[٢] .

وفى سفر العدد يتضح أن كالب كان له هذا الروح « وأما عبدى كالب فمن أجل أنه كانت معه روح أخرى وقد اتبعنى تماما أدخله إلى الأرض التى ذهب إليها »[٣] ذلك لأنه أرضى الله إذ تكلم بعقلية تختلف عن الباقين . وقد أوصى الله شعبه أن يحتفظوا بمثل هذا القلب عندما قال لهم على لسان حزقيال « اعملوا لأنفسكم قلبا جديداً وروحا جديدة »[٤] .

أمام هذه الحقائق « وكما بينا أن هناك اختلافا كبيراً بين الأرواح ، كان خليقا بكم لدى سماعكم عن خلقة الروح بأن يتجه تفكيركم لأحد المعانى السابقة . هذه الروح هى التى كتب عنها اشعياء « قد تحالف آرام مع افرايم فرجف قلبه وقلوب شعبه كرجفان شجر الوعر قدام الريح »[٥] هذه أيضا هى الروح التى

---

(١) رو ٧ : ٢٥ ، ٨ : ٢ (٢) اع ٨ : ٣٠
(٣) عد ١٤ : ٢٤ (٤) حز ١٨ : ٣١
(٥) اش ٧ : ٢

أرسلها الرب إلى البحر بسبب يونان[١]، لأن أرواح الريح تتبع الرعد، كما كان الحال فى أمر المطر الذى سقط على آخاب حيث قيل « بعد برهة وجيزة أن السماء اسودت من الغيم والريح ».[٢]

٩

ثم إنهم يقولون: لكن طالما كان النص[٣] يذكر المسيح فلكى يكون المعنى متناسقا ينبغى أن نعتبر بأن الروح القدس، وهكذا لاحظتم أن الروح القدس ذكر مع المسيح. لكن متى وجدتموه مختلفا فى الطبيعة عن الابن ومنفصلا عنه؟ لأنكم الذى تقولون فيه أن المسيح ليس مخلوقا تقولون أن الروح القدس مخلوق. إنه من السخافة أن تذكروا معا أشياء تختلف فى طبيعتها. لأنه أية شركة أو شبه بين الخليقة والخالق؟ على هذا القياس أنتم تحصون مع الابن ومع الروح القدس وتقرنون بهما الخليقة التى خلقت بمعرفته[٤]. إنه يكفيكم — كما قدمنا — أن تفهموا ما كتب عن روح الرياح: لكن طالما كنتم تحتجون بهذه الحجة أن المسيح ذكر فى الآية وجب علينا أن نتأمل فى

---

(١) يونان ١ : ٤ (٢) امل١٨ : ٤٥
(٣) أى نص الآية عا ٤ : ١٣ (٤) أى بمعرفة الابن

النص بدقة لعلنا نجد معنى أكثر مناسبة لهذا الروح الذى قيل عنه أنه خلق .

أى معنى تحمله هذه العبارة « معلن للإنسان مسيحه » سوى إنه هو نفسه يتأنس ؟ إنها مرادفة للقول « هوذا عذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل »[١] ، ومرادفة للإشارات الأخرى التى تشير إلى مجيئه وإن كان حلول الكلمة متجسدا هو الذى قد أعلن فأى روح نفهم أنه قد خلق سوى روح الإنسان الذى أعيدت خلقته وتجدد[٢] ؟ لأن هذا ما وعد به الله على لسان حزقيال قائلا « وأعطيكم قلبا جديداً وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم وأجعل روحى فى داخلكم »[٣] . ومتى تم هذا إلا عندما جاء الرب وجدد كل الأشياء بالنعمة ؟ انظروا كيف أنه فى هذه الآية أيضا صار التمييز بين الأرواح . فروحنا تجددت ، لكن الروح

---

(١) اش ٧ : ١٤

(٢) يثبت أثناسيوس فى معظم كتاباته أن عمل الكلمة المتجسد هو تجديد طبيعة الإنسان الإلهية التى فقدها تدريجيا .

(٣) حز ٣٦ : ٢٦

القدس ليس بمجرد روح ، إنما يقول الله أن روحه هو الذى به تتجدد روحنا . وكما يقول المرنم فى المزمور المائة والثالث « تنزع أرواحها فتموت وإلى ترابها تعود . ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض[١] .

وإن كان روح الله هو الذى به نتجدد نحن فان الروح الذى قيل عنه هنا أنه خلق ليس هو الروح القدس بل روحنا وإن كنتم تعتقدون اعتقادا سليما أن الابن ليس مخلوقا لأن كل الأشياء توجد بالكلمة ، أفلا يعتبر تجديفا منكم قولكم أن الروح مخلوق ذاك الذى فيه يكمل الآب ، بالكلمة ، كل الأشياء ويجددها ؟ وإن كانوا قد توهموا - لمجرد ذكر تلك العبارة عن خلقه روح - أن هذه تعنى الروح القدس ، فليدركوا أن الروح القدس لم يخلق بل إن روحنا هى التى تتجدد فيه . وعن هذه الروح يصلى داود أيضا فى المزمور قائلا « قلبا نقيا اخلق فى يا الله وروحا مستقيما جدد فى داخلى »[٢] . هنا قيل أنه خلقه ، لكنه قيل سابقا أنه صوره كما قال زكريا « باسط السموات ومؤسس الأرض ومصور لروح الإنسان فى داخله »[٣] . لأنه

(١) مز ١٠٤ : ٢٩و٣٠ (٢) مز ٥١ : ١٠
(٣) زك ١٢ : ١

لما سقط ذاك الذى سبق أن صوره فانه أعاد خلقته ، إذ جاء هو نفسا فى الخليقه عندما تجد الكلمة ، لكى يستطيع - على حد تعبير الرسول - أن « يخلق الاثنين فى نفسه إنسانا واحدا جديداً المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق »(١) . لأن الذى خلق لم يكن إنسانا آخر سوى ذاك الذى خلق من البدء على صورة الله « لكنه نصحهم لكى يقبلوا العقل الذى أعادت خلقته وتجدد فى المسيح ، كما وضح ذلك حزقيال أيضا عندما قال « اعملوا لأنفسكم قلبا جديداً وروحا جديدة . فلماذا تموتون يا بيت إسرائيل . لأنى لا أسر بموت من يموت يقول السيد الرب »(٢) .

١٠

فان كان الروح المخلوق يحمل هذا المعنى استطعنا القول أن الرعد(٣) الذى قد تأسس هو كلمة الروح اليقينية وناموسه الثابت . هذه الكلمة هى التى أراد ربنا أن يكون يعقوب ويوحنا خادميها عندما دعاهما بوانرجس أى ابنى الرعد(٤) . لهذا صرخ يوحنا من .

---

(١) اف ٢ : ١٥ ، ٤ : ٢٤ (٢) حز ١٨ : ٣١ ، ٣٢

(٣) يكمل اثناسيوس هنا بحثه بتغيير الكلمات السابقة الواردة فى عا ٤ : ١٣ (٤) اس ٧ : ١٤

السماء يقينا وقال « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » (١) . لأن الناموس فى الأزمنة السالفة كان له « ظل الخيرات العتيدة » (٢) . ولكن عندما أعلن المسيح للبشر وأتى قائلا « أنا الذى أكلمك هو » (٣) فحينئذ ـ على حد تعبير بولس ـ « صوته زعزع الأرض كما وعد فى القديم . على اننى مرة أخرى أزلزل لا الأرض فقط بل السماء أيضا. فقوله مرة أيضا يدل على تغيير الأشياء المتزعزعة لكى تبقى التى لا تتزعزع ـ لذلك ونحن قابلون ملكوتا لا يتزعزع فان لنا نعمة نخدم بها خدمة مرضية لله » (٤) . وهذا الملكوت الذى يقول عنه لا يتزعزع يعلن عنه داود فى المزامير بأنه ثابت « الرب قد ملك . لبس الجلال . لبس الرب القدرة تثبت بها . أيضا تثبت المسكونة لكى لا تتزعزع » (٥) . إذاً فعبارة هذه تشير إلى مجىء المخلص الذى به نحن نتجدد ، وناموس الروح يبقى غير مزعزع .

لكن هؤلاء « المتقلبين » (٦) ـ وهم خليقون بهـــذا الاسم ـ

---

(١) يو ١ : ١ (٢) عب ١٠ : ١

(٣) يو ٤ : ٢٦ (٤) عب ١٢ : ٢٦

(٥) مز ٩٣ : ١، ٢ (٧) Tropici وهم جماعة ظهروا فى القرن الرابع واعتقدوا أن الروح القدس مخلوق .

فانهم إذ تحالفوا مع الاريوسيين ، واشتركوا فى التجديف على اللاهوت ، حتى قال هؤلاء عن الابن أنه مخلوق ، وقال أولئك نفس القول عن الروح القدس . تجاسر « المتقلبون » على أن بعض الكنايات والاستعارات . وقلبوا أيضا قول الرسول رأسا على عقب ذلك القول الذى كتبه تيموثاوس ببراءة قائلا « أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختارين أن تحفظ هذا بدون تحيز ولا تعمل شيئا بمحاباة »[1] . وهم يقولون : لأن الرسول ذكر الله والمسيح ثم ذكر الملائكة فلا بد أن يحسب الروح القدس ضمن الملائكة وأنه من طغمتهم ، وأنه ملاك أعظم من سائر الملائكة

كان فالنتينوس هو أول من أبرز هذه الضـــلالة . وهم لم يستطيعوا أن يخفوا هذه الحقيقة وهى أنهم إنما كانوا يعبرون عن شعوره . لأنه قال إنه لما أرسل المعزى أرسل معه رفقاؤه من الملائكة » لكنهم لم يدركوا أنهم بتنزيلهم الروح القدس إلى مستوى الملائكة فانهم يحسبون الملائكة ضمن الثالوث . لأنه ان كانت الملائكة ـ على حد قولهم ـ تأتى بعد الآب والابن

---

(١) ١ تى ٥ : ٢١

فواضح أن الملائكة تنتمى إلى الثالوث وليست فيما بعد « أرواحا خادمة مرسلة للخدمة »[١] وليست مقدسة بل هى نفسها بالأحرى تقدس غيرها .

١١

ما هذه الحماقة الشديدة التى ترددوا فيها ؟ ومرة أخرى نقول أين وجدوا فى الأسفار المقدسة أن الروح القدس أشير إليه كملاك إنى مضطر إلى تكرار ماسبق أن قلته . أنه يدعى المعزى ، روح التبنى ، روح التقديس . روح الله . روح المسيح . لكنه لم يدع قط ملاكا أو رئيس ملائكة أو روحا خادما كما دعيت الملائكة . بل بالأحرى قيل عنه أن جبرائيل يخدمه هو والابن إذ قال لمريم « الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك »[٢]. وإن كانت الأسفار المقدسة لم تتحدث عن الروح القدس كملاك فأى عذر لهم فى مثل هذه الوقاحة الشنيعة السخيفة ؟ وحتى فالنتينوس الذى غرس فيهم هذه الحماقة دعاه المعزى ودعاها هى ملائكة ، ولو أنه فى نفس الوقت بجهله يعتبر الروح القدس متساويا فى القدم (معاصرا) مع الملائكة .

---

(١) عب ١ : ١٤ (٢) لو ٢ : ٣٥

إنهم يقولون : (لكن انظر ما كتب فى نبوة زكريا « هذه الأمور قالها الملاك الذى تكلم فى داخلى »[١] وواضح أنه يعنى أن الروح القدس الذى تكلم فى داخله هو ملاك) .

ولو أنهم تأملوا فيما يقرأون لما قالوا هذا القول . لأن زكريا نفسه لما رأى رؤيا المنارة قال « فأجاب الملاك الذى تكلم فى داخلى وقال لى اما تعلم ماهذه فقلت لا سيدى . فأجاب وكلمنى قائلا هذه كلمة الرب إلى زربابل قائلا لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحى قال الرب القدير »[٢] . ومن هذا يتضح إذاً أن الملاك الذى كلم النبى لم يكن هو الروح القدس بل ملاكا . أما الروح فهو روح القدير الذى تخدمه الملائكة ، والذى لن ينفصل عن لاهوت الكلمة وقدرته .

لكن نظراً لأنهم يجعلون كلمات الرسول دعامة حجتهم ، لأنه بعد أن ذكر المسيح ذكر الملائكة المختارين ، فليخبرونا أى ملاك من جميع هؤلاء هو الذى يحسب ضمن الثالوث . فإنهم ليسوا جميعهم واحداً . من منهم هو الذى نزل إلى الأردن فى شكل حمامة ؟ لأن الذين يخدمون « ألوف ألوف وربوات ربوات »[٣] . ولماذا لم يكتب أيضا عندما انفتحت السموات ، أن واحداً من الملائكة

---

(١) زك ١ : ٩   (٢) زك ٤ : ٥و٦   (٣) دا ٧ : ١٠

المختارين نزل ، بل قبل « الروح القدس » ؟ ولماذا خصهم بالذات الرب نفسه عندما تحدث مع التلاميذ عن النهاية[١] وذكرهم صراحة « يرسل ابن الانسان ملائكته »[٢] . وقبل هذا قيل « وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه »[٣] وهو نفسه قال أيضا « يخرج الملائكة »[٤] . لكن عندما منح الروح القدس للتلاميذ قال « اقبلوا الروح القدس »[٥] . وعندما أرسلهم إلى العالم قال « اذهبوا وعلموا جميع الأمم معمدين إياهم باسم الآب والابن والروح القدس »[٦] .

انه لم يذكر ملاكا ضمن اللاهوت . كذلك لم يتحدنا بشخصه وبالآب بواسطة خليقة ما بل بواسطة الروح القدس . وعندما أعطى الوعد به لم يقل أنه سيرسل ملاكا بل « روح الحق الذى من عند الآب ينبثق » والذى منه يأخذ ويعطى .

١٢

وموسى أيضا أدرك أن الملائكة مخلوقات ، وأن الروح

(١) كما ورد فى دا ١٢ : ٤و١٣ وهذا الاصطلاح لم يرد قط فى العهد الجديد (٢) مت ١٣ : ٤١ (٣) مت ٤ : ١١
(٤) مت ١٣ : ٤٩ (٥) يو ٢٠ : ٢٢ (٦) مت ٢٨ : ١٩

القدس متحد بالآب والابن . لأنه عندما قال له الله « اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذى أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التى حلفت لابراهيم واسحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيتها ، وأنا أرسل أمامك ملاكا واطرد الكنعانيين »[١] ، رفض قائلا « ان لم تذهب معنا أنت شخصيا فلا تصعدنى من ههنا »[٢] ، لأنه لم يشأ أن يقود الشعب أى مخلوق لئلا يتعلموا بأن يعبدوا المخلوق دون الله الذى خلق كل الاشياء . لهذا كان طبيعيا بأن يرفض قيادة الملاك ويلتمس قيادة الله نفسه . لكن بعد أن وعده الله قائلا « هذا الأمر أيضا الذى تكلمت عنه افعله لانك وجدت نعمة فى عينى وأنا عرفتك دون سائر البشر »[٣] قيل فى اشعيا « الذى أصعده من الارض راعى الغنم أين الذى جعل فى وسطهم الروح القدس . الذى سير موسى بيمينه »[٤] . وبعد ذلك بقليل يقول « الروح نزل من قبل الرب وقادهم » هكذا قدت شعبك لتصنع لنفسك اسما مجيداً »[٥]

من ذا الذى لايستطيع أن يدرك الحق من هذه الامور ؟

---

(١) خر ٢٣ : ١ و ٢ (٢) خر ٣٣ : ١٥
(٣) خر ٣٣ : ١٧ (٤) اش ٦٣ : ١١ و ١٢
(٥) اش ٦٣ : ١٤

فإن الله لما وعد بأن تقودهم لم يعد بأن يرسل ملاكا ، بل الروح القدس الذى هو اسمى من الملائكة ، والذى قاد الشعب بنفسه . وهو يتبين أن الروح القدس لاينتمى إلى المخلوقات ، وأنه ليس ملاكا ، بل هو أعلى من الخليقة ، متحد بلاهوت الآب . لأن الله نفسه هو الذى قاد الشعب بالكلمة فى الروح القدس[1] لذلك فإنه فى كل الكتاب المقدس يقول « إنى أصعدتكم من أرض مصر . وأنتم شهود إن كان هنالك إله غريب بينكم سواى »[2] والقديسون يقولون أيضا لله « هديت شعبك كالغنم »[3] . ويقولون أيضا « هداهم على الرجاء فلم يجزعوا »[4] ، ويقدمون إليه أيضا الترنيمة التى تقول « الذى قاد شعبه فى البرية لان إلى الابد رحمته »[5] . ويصرح موسى العظيم بلا انقطاع قائلا « الرب إلهكم السائر أمامكم »[6] .

---

(١) يريد اثناسيوس أن يقول بأن الآية الأخيرة (اش ٦٣ : ١٤) تشير إلى الاقانيم الثلاثة : الروح ينزل من قبل الابن بارادة الآب الذى ذكر ضمنا فى الفقرة الأخيرة من الآية .

(٢) هذا قول مقتبس من عدة آيات (لا ١٩ : ٣٦ ، قض ٦:٨ : هو ١٣:٤ ، اش ٤٤ : ٨ (٣) مز ٧٧ : ٢٠ (٤) مز ٧٨ : ٥٣ (٥) مز ١٣٦ : ١٦ (٦) تث ١ : ٣٠ .

وهكذا نرى أن روح الله ليس ملاكا ولا مخلوقا . إنما ينتمى إلى لاهوته . لأنه عندما كان الروح القدس مع الشعب كان الله معهم بالابن فى الروح القدس .

١٣

ويقولون أيضا (إذا فرضنا هذا فلماذا لم يذكر الرسول الروح القدس بل ذكر الملائكة المختارين ؟)

وبنفس هذا المنطق نسألهم نحن أيضا : لماذا لم يذكر بولس رؤساء الملائكة أو الشاروبيم أو السرافيم أو السلطات أو الكراسى أو أية طغمة أخرى بل ذكر فقط الملائكة المختارين ؟ ولأنه لم يذكر هذه فهل الملائكة رؤساء ملائكة ، أم مجرد ملائكة لا سرافيم ولا شاروبيم ولا رؤساء ملائكة ولا سلطات ولا كراسى ولا رئاسات ولا أية طغمة أخرى ؟

هذا معناه توجيه السؤال إلى الرسول : لماذا كتب هكذا ولم يكتب هكذا ، ومعناه أيضا أنه جاهل بالأسفار الإلهية ، ولذلك فهو مخطىء فى تمييز الحق . لأنه هو ذا قد كتب فى أشعياء تقدموا إلى اسمعوا هذه . لم أتكلم من البدء فى الخفا .

منذ وجوده أنا هناك. والآن السيد الرب أرسلني وروحه»(١) وكتب في حجى «فالان تشدد يازربابل يقول الرب، تشدد يا يهوشع بن يهو صادق الـكاهن العظيم يقول الرب : وتشددوا يا جميع شعب الأرض يقول الرب واعملوا فانى معكم يقول رب الجنود... وروحي قائم في وسطكم»(٢).

في هاتين النبوتين نرى أنه لم يذكر سوى الرب والروح القدس . فماذا يقولون عن هذا ؟ لأن بولس بعد أن ذكر المسيح تجاوز عن ذكر الروح القدس وذكر الملائكة المختارين اعتبروا لهذا السبب أن الروح ضمن الملائكة .

لكن عندما يقرأون هاتين النبوتين يجب — تمشيا مع منطقهم — أن يتكلموا بتهور أشد عن الأقنوم الذى لم يذكر. إن قالوا إن الرب هو الابن فماذا يقولون عن الآب ؟ وإن قالو إنه هو الآب فماذا يقولون عن الابن ؟

إن التجديف الناتج عن تفكيرهم السقيم هذا لا يطيق المرء مجرد التفكير فيه . لأنهم إما أن يقولوا أن الأقنوم الذى لم يذكر ليس له وجود ، أو أنهم يجب أن يحصوه ضمن المخلوقات .

(١) إش ٤٨ : ١٦ (٢) حج ٢ : ٤و٥

١٤

وماذا عساهم يقولون إذا سمعوا الرب أيضا يقول « كان فى مكان ما قاض لا يخاف الله ولا يهاب إنسانا »[١] هل لأنه ذكر إنسانا بعد الله يفهم من هذا أن الابن هو ذلك الإنسان الذى كان القاضى لا يهابه ؟ أم هل يأخذ الابن المرتبة الثالثة بعد الإنسان ، ويأخذ الروح القدس المرتبة الرابعـــة . وذلك لأن الإنسان ذكر بعد الله ؟ .

وماذا عساهم يقولون إذا سمعوا الرسول يقول مرة أخرى فى نفس الرسالة « أوصيك أمام الله الذى يحيى الكل وأمام يسوع المسيح الذى شهد لدى بيلاطس البنطى بالاعتراف الحسن أن تحفظ الوصية بلادنس ولا لوم »[٢] ؟ أيخامرهم الشك فى وجود الروح القدس وفى وجود الملائكة لأن الرسول هنا لم يذكر شيئا عن الملائكة وعن الروح القدس ؟ نعم هم فى وشك ، وهذا هو الذى دفعهم إلى التمادى فى التجديف على الروح القدس .

وإن سمعوا الكتاب المقدس يقول فى سفر الخروج « فخاف

---

(١) لو ١٨ : ٢ (٢) اتى ٦ : ١٣ و ١٤

الشعب الرب وآمنوا بالله وبموسى عبده »[1]. فهل يحصون موسى مع الله ، ويفكرون فى موسى فقط دون الابن . لأن موسى ذكر بعد الله ؟

وإن سمعوا يعقوب أب الآباء يبارك يوسف قائلا « الله الذى رعانى منذ شبابى ، الملاك الذى خلصنى من كل شر ، يبارك هذين الغلامين »[2]. فهل يستنتجون من ذكر الملاك بعد الله أن الملاك متقدم على الابن ، أو أن الابن محسوب ضمن الملائكة ؟ نعم ، مرة أخرى نقول إن هذا يخطر ببالهم بسبب فساد قلوبهم .

لكن الايمان الرسولى ليس كذلك ، ولن يطيق أى مسيحى هذه الخزعبلات لحظة واحدة . لأن الثالوث المقدس المبارك لا يتجزأ ، وهو واحد فى ذاته . لأنه حيثما ذكر الآب ذكر ضمنا كلمته والروح القدس الذى هو فى الابن . وإذا ذكر الابن فان الآب فى الإبن ، والروح القدس ليس خارج الكلمة . لأن من الآب نعمة واحدة تتم بالابن فى الروح القدس . وهنالك طبيعة إلهية واحدة ، وإله واحد « على الكل وبالكل وفى الكل »[3]. لهذا فان بولس أيضا عندما قال « أناشدك أمام الله والرب يسوع

---

(١) خر ١٤ : ٣١ (٢) تك ٤٨ : ١٥ و ١٦ (٣) اف ٤ : ٦

المسيح »(١). كان واثقا بأن الروح لم ينفصل عن الابن ، بل هو نفسه فى المسيح كما أن الإبن فى الآب . لكنه ذكر معهما الملائكة المختارين بلياقة لكى يطيع التلميذ الذى قدم إليه وصيته تعاليم معلمه على أساس أن الملائكة الحارسين حاضرون ليشهدوا على ما قاله . لأن التلميذ كان يعرف ليس فقط أن ما قيل من الله قد قيل بالمسيح فى الروح القدس ، بل أيضاً أن الملائكة تخدم مصالحنا متطلعة على أعمال كل واحد منا .

أو لعله هو هنا يطلب من الملائكة أن تشهد بسبب أولئك الذين ينظرون دواماً وجه الاب الذى فى السماء »(٢). من أجل الصغار الذين فى الكنيسة(٣)، لكى لا يهمل التلميذ وصايا الرسول إذ يدرك أن الملائكة حارسة للشعب

(١) اتى ٥ : ٢١

(٢) مت ١٨ : ٤ (٣) قال أوريجانوس « إن كل مؤمن حتى أصغر واحد يخدمه ملاك ممن أعلن عنهم أنهم ينظرون وجه الرب الذى فى السموات .

١٥

هذا هو معنى الأقوال الإلهية كما يبدو لى [١]. وهو يدحض الضلالة التى وجهها هؤلاء القوم الحمق للروح القدس . وهم — إذا استمروا فى مقاومتهم للحق كما كتبتم — لم يعودوا يتكلمون من الكتاب المقدس ، لانهم لن يجدوا فيه ما يلائمهم ، لكنهم ابتدعوا ضلالات من فيض قلوبهم وقالوا (إن لم يكن الروح القدس مخلوقاً ولا واحداً من الملائكة بل منبثقا من الاب ، إذاً فهو نفسه أيضا ابن ، ويكون هو والكلمة أخوين . وإن كان أخا فكيف يكون لكلمة أبنا وحيداً ؟ وكيف لا يكونان متساويين لكن الواحد يذكر بعد الآب والآخر يذكر بعد الإبن ؟ وإن كان منبثقا من الآب فكيف لايقال عنه مولوداً أو يدعى إبنا إنما يقال فقط الروح القدس ؟ وإن كان الروح القدس هو روح الإبن فان الآب هو جد الروح القدس) .

---

(١) هنا يبدأ أثناسيوس طورا جديدا فى المناقشة . فانه بعد أن فند أدلة الخصوم المستقاة من الكتاب المقدس يدحض هرطقتهم بالالتجاء إلى علاقة الأقانيم الثلاثة بعضها بالبعض . الأمر الذى يكرس له الفصول السبعة التالية وهى لب هذه الرسالة .

هكذا يهزأ هؤلاء التعساء كفضوليين يريدون أن يفحصوا أعماق الله التى لا يعرفها أحد إلا روح الله [١] الذى يجدفون عليه وخليق بنا أن لا نرد عليهم ، لكننا إطاعة لوصية الرسول [٢] بعد الإنذار الذى وجه إليهم مما سبق أن قيل ، نعرض عنهم كمبتدعين وإلا فلنوجه إليهم أسئلة على مستوى أسئلتهم ، ونطلب منهم الإجابة كما يطلبون منا . إذا فليقولوا لنا عما إذا كان الآب مولودا من أب . وعما إذا كان قد ولد معه آخر فأصبحا أخوين لأب واحد وما هى أسماءهم ؟ من هو أب هذا الأب ومن هو جده ؟ ومن هم أسلافهم ؟

لكنهم قد يقولون لا يوجد . فليقولوا لنا إذاً كيف يكون أبا من لم يولد هو نفسه من أب ؟ وكيف يكون له ابن من لم يولد هو نفسه كابن ؟

أنا أدرك أن هذه أسئلة الحادية . لكنهم عندما يهزأون بهذه الأمور فخليق بهم أن يهزأ بهم لكى يستطيعوا أن يدركوا حماقتهم من هذه الأسئلة السخيفة الالحادية . فالأمر ليس كذلك.

---

(١) ١ كو ٢ : ١٠ و١١ (٢) تى ٣ : ٤ «الرجل المبتدع بعد الانذار مرة ومرتين أعرض عنه .

حاشا كما أنه لايليق توجية أسئلة كهذه عن اللاهوت . لأن الله ليس كالإنسان حتى نتجاسر فنسأل عنه أسئلة بشرية .

١٦

خليق بنا إذاً — كما قدمت — أن نلزم الصمت بصدد هذه الأمور ، وأن لا نقيم وزنا لهؤلاء الأشخاص . ولكن لئلا يعطى صمتنا حجة لهم للتمادى فى وقاحتهم فليسمعوا . كما أننا لانستطيع أن ننسب أبا للآب ، هكذا لانستطيع أن ننسب أخا للإبن. وكما قدمنا ، لايوجد إله آخر سوى الآب ، ولا يوجد ابن آخر غير الابن ، لأنه هو الابن الوحيد . لذلك فان الآب ، اذهو واحد وحيد ، فهو أب لابن واحد وحيد . أما اصطلاح «الاب» واصطلاح «الابن» فهما — فى اللاهوت فقط — ينحصران أبدا فى معنييهما فقط . لأنه فى حالة البشر لما يدعى أى رجل أباً فانه مع ذلك ابن لرجل آخر . وإن دعى ابنا فانه مع ذلك أب لرجل آخر .

ولذلك فان اسم «الاب» واسم «الابن» فى اصطلاح البشر لاينحصران فى معنييهما فقط . فابراهيم مثلا ، وهو ابن ناحور ، هو أب أسحق . وأسحق ، وهو ابن ابراهيم ، هو أب يعقوب وهذا هو الحال فى طبيعة البشر ، لأنهم أجزاء بعضهم من بعض وعندما يولد كل منهم فانه ينال جزءا من ابيه لكى يصير هو نفسه أبا لشخص آخر .

أما فى حالة اللاهوت فليس الأمر كذلك . لأن الله لا يماثل الإنسان ، وطبيعته لا تتجزأ . لذلك فإنه هو نفسه لم يلد ابنا بتجزئة نفسه ليصير أبا لغيره ، لأنه هو نفسه لم يأت من أب والابن ليس جزءاً من الآب ، ولذلك فإنه لا يلد كما ولد هو ، بل هو صورة كاملة للكامل وشعاعه . وفى اللاهوت فقط نجد أن الآب أب بحصر المعنى ، والابن بحصر المعنى . وهكذا يصح القول أن الآب أب أبداً ، والابن ابن أبداً . وكما أن الآب لا يمكن أن يكون ابناً . كذلك لا يمكن أن يكون الابن أباً . وكما أن الآب لن يكف عن أن يكون الأب الوحيد ، كذلك لن يكف الابن عن أن يكون الابن الوحيد .

إذاً فمن كل هذه الاعتبارات يعتبر حماقة أن نتصور وجود أخ للابن ، أو أن ننسب للآب اسم الجد . لأن الروح القدس لم يطلق عليه فى الكتاب المقدس اسم الابن لئلا يظن أنه أخ ولا دعى ابن الابن لئلا يظن بأن الآب جد . لكن الابن دعى ابن الآب ، وروح الآب دعى روح الابن . وهكذا نجد أن لاهوت الثالوث الأقدس واحد والإيمان به واحد .

١٧

لهذا السبب أيضا فإنه من الجنون أن يدعى مخلوقاً . لأنه

لو كان مخلوقا لما حسب ضمن الثالوث . لأن كل الثالوث إله واحد ويكفى أن ندرك بأن الروح القدس ليس مخلوقا ، ولا هو يحصى ضمن المخلوقات . لأن الثالوث لا يختلط به شيء غريب . وهو غير قابل للتجزئة ، متناسق بعضه مع بعض . وفى هذه الحقائق يجد المؤمن كل الكفاية . وإلى هذا الحد تذهب مداركنا البشرية . هنا تبسط الشاروبيم ستر أجنحتها . ومن يريد بحث ماهو أبعد من هذه الحقائق فإنه يخالف ذاك الذى قال « لا تكن حكيما فى أشياء كثيرة لئلا تربك نفسك »[١] .

لأن ماسلم بالايمان يجب أن لا يقاس بالحكمة البشرية بل بسمع الايمان . وأى منطق يستطيع بجدارة تفسير الأمور التى تفوق الطبيعة المخلوقة ؟ وأى سمع يستطيع فهم الأشياء التى لا يسوغ للبشر سماعها أو النطق بها ؟ لأن هذا ما تكلم به بولس عما سمع ، بل عن الله نفسه « ما أبعد طرقه عن الاستقصاء . لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً »[٢] . وإبراهيم لم يكن فضوليا ، ولا حاج من تكلم معه ، بل آمن « فحسب له براً »[٣] . كذلك دعى موسى « خادما أمينا »[٤] .

---

(١) جا ٧ : ١٦
(٢) رو ١١ : ٢٣ و ٢٤
(٣) رو ٤ : ٣
(٤) عب ٣ : ٥

أما إن كان تلاميذ أريوس لا يستطيعون أن يعتقدوا بأن الثالوث المقدس غير قابل للتجزئة لأن الحكمة لا تستطيع دخول قلوبهم الملتوية ، فعليهم أن لا يقلبوا الحق لهذا السبب أيضا ولا يقولوا بأن مالا يستطيعون فهمه لا يمكن أن يكون يقينيا . لقد وضعوا أنفسهم فى موضع سخيف . لأن الاريوسيين . إذ لم يستطيعوا أن يدركوا كيف أن الثالوث المقدس غير قابل للتجزئة جعلوا الابن أحد المخلوقات ، والمتقلبون بدورهم يعتبرون الروح القدس ضمن المخلوقات . وكان حريا بهم إما أن يلزموا الصمت على الإطلاق فى قصور إدراكهم ، فلا يحسب الاريوسيون الابن ضمن المخلوقات ولا يحسب المتقلبون الروح القدس ضمن المخلوقات ، أو أن يعترفوا بالمكتوب فيقرنوا الابن بالآب ولا يفصلوا الروح القدس عن الابن ، وبهذا يدركون أن الثالوث المقدس غير قابل للتجزئة . وانه ذو طبيعة واحدة .

وإذ تعلموا هذه الحقائق كان خليقا بهم أن لا يتجاسروا فيسألوا متشككين كيف يمكن أن تكون هذه الأمور هكذا ، لئلا يستنتجوا لأنفسهم من تلقاء أنفسهم اراء خاطئة إذا ماوجدوا أن من يسألونه قد أعوزته الاجابة . فجميع المخلوقات - سيما نحن البشر - ندرك أنه من المستحيل التحدث حديثا صائبا عن الأمور

التى لا يمكن أن يعبر عنها : والأكثر جرأة - إذاً - اننا ، ونحن نعجز عن التحدث ، ننخدع لهذه المواضيع تعبيرات مخالفه لما ورد فى الكتاب المقدس . وفوق الكل ، إن هذه المحاولة الحاضرة جنون ، سواء من يسأل أو من يفكر فى الإجابة . لأن من سأل أسئلة كهذه حتى عن المخلوقات لا يمكن أن يعتبر سليم العقل .

١٨

وليتجاسروا على أن يخبرونا - طالما كانوا يستطيعون الإجابة بسهولة عن كل شىء - كيف أبدعت السماوات ، ومن أية مادة ، وطريقة تكوينها . وكذلك عن الشمس وعن كل من الكواكب . ولا عجب أن فضحنا جهلهم بإشارتنا إلى الأشياء التى فوقنا ونحن نجهل كنه طبيعة الأشجار التى هنا من تحت ، وتجمع المياه . وتكوين وتصوير الأشياء الحية . لكنهم يعجزون عن أن يخبرونا . لأنه حتى سليمان ، الذى كان له نصيب من الحكمة أوفر من أى شخص آخر ، رأى أنه يستحيل على البشر إدراك هذه الامور وقال « جعل الابدية فى قلبهم ، ومع ذلك فلا يستطيع الانسان أن يدرك الذى عمله الله من البداية إلى النهاية »(١)

(١) جا ٣ : ١١ .

وإن كانوا لا يستطيعون أن يدركوا هذه الأشياء فهل ينكرون وجودها ؟ نعم انهم ينكرون لأن أذهانهم قد فسدت . ولذلك يحق لنا أن نسألهم : ياعديمى العقل ، ياطائشين فى كل شىء ، لماذا لاتكفون عن أسئلتكم الوقحة عن الثالوث المقدس ، ولماذا لاتعتقدون فقط أنه موجود ؟ اتخذوا لكم الرسول معلماً فى هذا الصدد عندما يقول « يجب أولا الإيمان بالله بأنه موجود وأنه يجازى الذين يطلبونه »[1] . انه لم يقل « كيف هو موجود » إنما قال فقط « إنه موجود » . وان لم يخجلهم هذا فليقولوا كيف يوجد الآب لكى يدركوا كيف يوجد كلمته .

ولعلهم يقولون أنه من السخافة توجيه مثل هذه الأسئلة عن الآب . فليسمعوا إذاً إنه من السخافة أيضا توجيهها عن كلمته .

١٩

إذاً فإن كانت مثل هذه المحاولة تعد جنونا مطبقا ، بل أكثر من جنون ، فلا يسألن أحد مثل هذه فيما بعد ، وإلا فليتعلم فقط ماهو مدون فى الأسفار المقدسة لأن الإيضاحات الواردة به فى هذا الصدد كافية ولائقة . فالآب قيل عنه أنه هو الينبوع والنور.

---

(١) عب ١١ : ٦

قيل فيه « تركونى أنا ينبوع المياه الحية »[١]

وقيل أيضا فى باروخ « لماذا أنت ياإسرائيل فى أرض أعدائك . لقد تركت ينبوع الحكمة »[٢] . وقيل فى يوحنا « الهنا نور »[٣] أما الابن فلم يذكر عنه أنه ينبوع بل نهر « نهر الله ملآن ماء »[٤] ولم يذكر عنه أنه نور بل شعاع كما يقول بولس « الذى وهو شعاع[٥] مجده ورسم جوهره »[٦] .

إذاً حيث أن الآب نور والابن شعاعه وجب أن لانحجم عن ترديد هذه العبارات كثيراً . فنحن نستطيع أن نرى فى الابن « الروح القدس » أيضا الذى به نستنير . « لكى يعطيكم روح الحكمة والاعلان فى معرفته مستنيرة عيون أذهانكم »[٧] . وان كنا نستنير بالروح القدس فإن المسيح هو الذى ينيرنا فيه لأن الكتاب يقول « كان النور الحقيق الذى ينير كل إنسان آتيا إلى العالم »[٨] .

وأيضا كما أن الآب ينبوع ، ودعى الابن نهراً ، فقد قيل إننا

---

(١) ار ٢ : ١٣ (٢) باروخ ٣ : ١٠ - ١٢ (٣) يو١: ٥
(٤) مز ٦٥ : ٩ (٥) او « بهاء » (٦) عب ١ : ٣
(٧) اف ١ : ١٧و١٨ (٨) يو ١ : ٩

نشرب من الروح القدس . لأنه مكتوب « وجميعنا سقينا من روح واحد »[١] وإن كنا نشرب من الروح القدس فإننا نشرب من المسيح ، لأنه قيل « أنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح »[٢] . وأيضا كما أن المسيح ابن حقيقى فإننا نصير أبناء عندما نقبل الروح القدس . يقول الكتاب « إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف بل أخذتم روح التبنى »[٣] « وإن كنا بالروح القدس قد صرنا أبناء فواضح أننا فى المسيح دعينا أولاد الله « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله »[٤]

إذاً فكما أن الآب هو « الحكيم وحده »[٥] حسب تعبير بولس فالابن هو حكمته « المسيح قوة الله وحكمة الله»[٦] . وكما أن الابن هو الحكمة فإننا إذ نقبل روح الحكمة يصبح لنا الابن وفيه نصير حكماء . لأنه هكذا كتب فى المزمور المائة والخامس والأربعين « الرب يطلق الأسرى الرب يحكم العمى »[٧] وعندما يعطى لنا الروح القدس (قال المخلص : اقبلوا الروح القدس[٨])

---

(١) اكو ١٢ : ١٣ (٢) اكو ١٠ : ٤ (٣) رو ٨ : ١٥
(٤) يو ١ : ١٢ (٥) رو ١٦ : ٢٧ (٦) اكو ١ : ٢٤
(٧) مز ١٤٦ : ٧ و ٨ (٨) يو ٢٠ : ٢٢

يصبح الله فينا ، لأنه هكذا كتب يوحنا « إن أحب بعضنا بعض فالله يثبت فينا . بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه ق أعطانا من روحه »(١). وعندما يكون الله فينا يكون الابن أيضا فينا ، لأن الابن نفسه قال « الآب وأنا نأتى وعنده نصنع منزلا »(٢) .

وأيضا كما أن الابن هو الحياة ، لانه قال « انا هو الحياة »(٣) فإننا نحيا بالروح القدس لانه يقول « الذى أقام المسيح من الأموات سيحيى أجسادكم المائتة أيضا بروحه الساكن فيكم »(٤) وعندما نحيا بالروح القدس يكون المسيح نفسه حيا فينا ، لأنه يقول « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى »(٥).

ولقد أعلن الابن أيضاً أن الآب عمل الأعمال التى عملها هو ، لأنه يقول « الآب الحال فى هو يعمل أعماله . صدقونى أنى فى الآب والآب فى . وإلا فصدقونى لسبب أعماله »(٦) . كذلك أعلن بولس أن الأعمال التى عملها بقوة الروح القدس كانت هى أعمال المسيح « لأنى لا أجسر أن أتكلم عن شىء مما لم يفعله المسيح

---

(١) ١يو ٤ : ١٢و١٣ (٢) يو ١٤ : ٢٣ (٣) يو ١٤ : ٦
(٤) رو ٨ : ١١ (٥) غل ٢ : ٢٠ (٦) يو ١٤ : ١٠-١٢

بواسطتى لأطاعة الأمم بالقول والفعل بقوة آيات وعجائب بقوة الروح القدس »[١]

٢٠

وإن كانت توجد فى الثالوث المقدس هذه المساواة وهذا الاتحاد فمن الذى يستطيع أن يفصل الابن عن الآب ، أو يفصل الروح القدس عن الابن أو عن الاب نفسه ؟ من ذا الذى تبلغ به درجة الوقاحة إلى حد ان يقول إن الثالوث غير متماثل فى ذاته ومتعدد الطبيعة ، أو أن جوهر الابن غريب عن الآب ، أو أن الروح القدس غريب عن الابن ؟ وكيف يمكن أن تكون هذه الأمور ؟ إن تساءل أحد وسأل ثانية : كيف يقال إن الابن فينا عندما يكون الروح القدس فينا ؟ وكيف يقال أن الآب فينا عندما يكون الابن فينا ؟ أو كيف يوصف الثالوث بأنه واحد إن كان هو حقا ثالوثا ؟ أو كيف يقال إن الثالوث فينا عندما يكون « الواحد » فينا ؟ فليفصل أولا الشعاع عن النور ، أو الحكمة عن الحكيم . أو ليدلنا كيف تكون هذه الأمور . وإن

---

(١) رو ١٥ : ١٨و١٩

كان لا يمكن إتمام هذا لكانت بالأولى وقاحة من هؤلاء المجانين أن يوجهوا مثل هذه الأسئلة عن الله . لأن التقليد - كما قدمنا - لا يعلن لنا اللاهوت بإيضاحات كلامية بل بالإيمان وباستخدام العقل بروح التقوى والوقار . لأنه أن كان بولس قد أذاع انجيل الصليب المخلص « لا بكلام الحكمة بل ببرهان الروح والقوة »[١] وإن كان قد سمع فى الفردوس « كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها »[٢] ، فمن ذا الذى يستطيع أن يوضح الثالوث المقدس نفسه ؟

ومع ذلك فإننا نستطيع مواجهة هذه الصعوبة مبدئياً بالإيمان ثم باستخدام الإيضاحات السابق ذكرها ، اقصد الصورة والشعاع ، الينبوع والنهر والجوهر والتعبير . فكما أن الابن فى الروح القدس كما هو فى صورته هو بالذات ، كذلك الآب فى الابن أيضا . لأن الكتاب المقدس الالهى ، لكى يخفف استحالة شرح وتوضيح هذه الأمور بالكلام ، أعطانا إيضاحات كهذه ، لكى يسوغ الكلام بأكثر وضوح - بسبب عدم إيمان هؤلاء الأشخاص العنيدين - والكلام بدون خطر ، والتفكير بكيفية شرعية ، ولكى نعتقد أن هناك قداسة واحدة

---

(١) ١كو ٢ : ٤ (٢) ٢كو ١٢ : ٤

مستمدة من الآب بالابن فى الروح القدس .

وكما أن الابن مولود وحيد الجنس هكذا أيضا الروح القدس إذ أعطى وأرسل من الابن فإنه واحد وغير متعدد ، ليس واحداً من كثيرين بل روح وحيد . وكما أن الابن ، الكلمة الحى ، واحد هكذا ينبغى أن تكون القوة الحيوية والهبة التى بها يقدس وينير - ينبغى أن تكون واحدة كاملة تامة ، وهى التى قيل إنها منبعثة من الآب ، لأنها من الكلمة المعترف بأنه من الآب . وهى التى تشرق والتى ترسل والتى تعطى . الابن أرسل من الآب لأنه يقول « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد »[1]. الابن يرسل الروح القدس ، يقول « ان ذهبت أرسل البارقليط »[2] والابن يمجد الآب قائلا « أيها الآب أنا مجدتك »[3] . والروح القدس يمجد الابن ، لأنه يقول « ذاك يمجدنى »[4] . يقول الابن « ما سمعته من الآب فهذا أقوله للعالم »[5] . الروح القدس يأخذ من الابن ، يقول « لأنه يأخذ مما لى ويخبركم »[6] . الابن أتى باسم الآب ، يقول الابن « الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى »[7] .

(١) يو ٣ : ١٦ (٢) يو ١٦ : ٧ (٣) يو ١٧ :٤
(٤) يو ١٦ : ١٤ (٥) يو ٨ : ٢٦ (٦) يو ١٦ :١٤
(٧) يو ١٤ : ٢٦

٢١

وإن كان الروح القدس — نظراً للترتيب والطبيعة — يحمل نفس العلاقة مع الابن كعلاقة الابن مع الآب ، إلا يجب أن من يدعو الروح القدس مخلوقا يقول نفس القول أيضا عن الابن ؟ لأنه إن كان الروح القدس مخلوقا خلقه الابن لاق بهم أن يقولوا إن الكلمة مخلوق خلقه الآب . هذه الآراء هى التى أسقطت الاريوسيين فى يهودية قيافا .

وأما إن كان من يقولون مثل هذا عن الروح القدس يدّعون أنهم لا يعتقدون باعتقادات أريوس فليتجنبوا أقواله وليحفظوا أنفسهم من التجديف على الروح القـــدس . لأنه كما أن الابن ، الذى هو فى الآب والآب فيه ، ليس مخلوقا بل ينتمى إلى جوهر الآب (وهذا ما تعترفون بأنكم تقولونه أيضا) ، هكذا ليس جائزا أن نحسب ضمن المخلوقات الروح القدس الذى هو فى الابن ، والابن فيه ، أو أن نفصله من الكلمة ونعرض الثالوث إلى عدم الكمال .

أما بصدد أقوال النبى والرسول - التى إذ عكس هؤلاء الأشخاص معناها أضلوا أنفسهم - فإن هذه التأملات كافية لدحض الأقوال

الشريرة الناشئة عن جهل جماعة « المتقلبين » . لكن لننظر أخيراً ـ واحداً فواحداً ـ إلى الإشارات الواردة عن الروح القدس فى الأسفار الالهية ، وكصيارفة حاذقين لنحكم عما إذا كانت له أية علاقة بالمخلوقات أم أنه ينتمى إلى الله ، لكى نستطيع إما أن ندعوه مخلوقا ، أو نعتبره بأنه ليس مخلوقا بل ينتمى إلى اللاهوت الذى فى الثالوث غير المخلوق وأنه واحد معه (مع اللاهوت). ولعلهم يخجلون عندما يدركون كيف أن كلمات التجديف التى اخترعوها بعيدة كل البعد عن أن تتناسق مع الأقوال الالهية .

٢٢

لقد أتت المخلوقات من العدم ، إذ لها بداية أتت منها إلى الوجود . لأنه « فى البدء خلق الله السموات والأرض . »(١) وكل ما فيها . أما الروح القدس فقد قيل عنه أنه من الله . لأنه كما يقول « ليس أحد يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه . هكذا أيضا أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله . ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله »(٢) . ومما تقدم أية

(١) تك ١ : ١ (٢) ١كو ٢ : ١١و١٢

علاقة يمكن أن توجد بين الروح القدس والمخلوقات ؟ فالمخلوقات لم تكن موجودة ، أما الله فله وجوده ، والروح القدس منه . والذى من الله لا يمكن أن يكون قد وجد مما ليس له وجود . ولا يمكن أن يكون مخلوقا ، لئلا يعتبر - حسب حكمهم - من وجد منه الروح القدس هو أيضا مخلوق . ومن ذا الذى يحتمل هذه الحماقة ؟ لأنهم هم أيضا يقولون فى قلوبهم « أنه ليس آله »[١] . لأنه إن كان لا يعرف أحد أمور الإنسان إلا الروح الذى فيه . ولا يعرف أحد أمور الله إلا الروح الذى فيه ، ألا يعتبر تجديفا أن يدعى الروح القدس الذى فى الله مخلوقا ، ذاك الذى يفحص حتى أعماق الله ؟ لأنه من هذا يمكن المتكلم أن يتعلم بأن يقول إن روح الانسان خارج عن الإنسان نفسه ، وإن كلمة الله ، الذى فى الآب مخلوق .

وأيضا الروح القدس هو روح القداسة والتجديد ، وهكذا يدعى أيضا . لأن بولس كتب قائلا « وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات . يسوع المسيح ربنا »[٢] . ويقول أيضا « لكن تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح الهنا »[٣] . وعندما كتب إلى تيطس قال « لكن حين ظهر

(١) مز ١٤ : ١ (٢) رو ١ : ٤ (٣) ١ كو ٦ : ١١

لطف مخلصنا الله ومحبته للبشر لا بأعمال فى بر عملناها، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس الذى سكبه علينا بغنى بيسوع المسيح مخلصنا . حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية »[١] . لكن المخلوقات تقدست وتجددت « ترسل روحك فتخلق . وتجدد وجه الأرض »[٢] : وبولس يقول « إن الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة »[٣] .

٢٣

إذاً فان من يتقدس من غيره ، ولا يشترك فى القداسة ، بل هو نفسه يؤخذ منه ، وفيه تتقدس كل المخلوقات ، كيف يمكن أن يكون واحداً ضمن الكل ، أو ينتمى إلى من يشتركون فيه ، ويأخذون منه ؟ لأن من يقولون هذا يجب أن يقولوا إن الابن، الذى به أتت كل الأشياء إلى الوجود ، هو واحد من الكل .

---

(١) تى ٣ : ٤ - ٧ (٢) مز ١٠٤ : ٣٠

(٣) عب ٦ : ٤ - ٦

أنه يدعى الروح المحيي ، لأنه يقول « الذى أقام يسوع من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضا بروحه الساكن فيكم »(١). والرب هو الحياة نفسها و « رئيس (٢) الحياة » كما قال بطرس وكما قال الرب نفسه « الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية . . . قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه »(٣) . أما المخلوقات فإنها تحيا به كما قدمنا . إن من لا يقبل الحياة من أحد ، بل يهبها لكل المخلوقات ويحييها ، فأية قرابة يمكن أن تكون له مع المخلوقات ؟ كيف يمكن أن يكون هو أحد المخلوقات التى تحيا فيه من الكلمة ؟

والروح القدس يدعى مسحة ، وهو الختم ، لأن يوحنا كتب قائلا « أما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هـــذه المسحة عينها (روحه

---

(١) رو ٨ : ١١
(٢) أو « مبدىء » حسب النص اليونانى والترجمة الانكليزية وترجمة اليسوعيين اع ٣ : ١٥
(٣) يو ٤ : ١٤ ، ٧ : ٣٩

القدوس) من كل شيء »[١] . وكتب فى أشعيا النبى « روح الرب على لأن الرب مسحنى »[٢] . ويقول بولس « الذى فيه أيضا أنتم إذ آمنتم ختمتم إلى يوم الفداء »[٣] . والخليقة ختمت به ومسحت به وتعلمت به كل شيء . وإن كان الروح القدس هو المسحة والختم الذى به يمسح الكلمة ويختم كل الأشياء فأى شبه أو علاقة يمكن أن تكون بين المسحة والختم وبين الأشياء التى تمسح وتختم ؟ وهكذا من هذه الناحية أيضا يمكن القول إن الروح القدس ليست له علاقة « بكل الأشياء » .

فالختم لا يمكن أن يكون ضمن الأشياء التى تختم ، والمسحة لا يمكن أن تكون ضمن الأشياء التى تمسح لكنه ينتمى إلى الكلمة الذى يمسح ويختم . لأن المسحة لها عبير ورائحة من يمسح ، والذين يمسحون يقولون عندما ينالون المسحة « نحن رائحة المسيح الذكية »[٤] . والختم له قالب المسيح الذى يختم ، والذين يختمون يشتركون فيه ، إذ يتشكلون بشكله ، كما يقول الرسول « يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضا إلى أن يتصور المسيح فيكم »[٥] . وإذ

---

(١) ١ يو ٢ : ٢٧ (٢) اش ٦١ : ١ (٣) اف ١ : ١٣

(٤) ٢ كو ٢ : ١٥ (٥) غل ٤ : ١٩

تختم هكذا نصير بحق - كما يقول بطرس - « شـــركاء الطبيعة الالهية »[١] . وهكذا تشترك كل الخليقة فى الكلمة بالروح القدس .

٢٤

وفضلا عن هذا فإننا بالروح القدس نشترك كلنا فى الله ، لأنه يقول « أما تعلمون إنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم . إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله . لأن هيكل الله مقدس الذى أنتم هو »[٢] . فلو كان الروح القدس مخلوقا لما كانت لنا شركة مع الله فيه . ولو كنا حقا متصلين بمخلوق لاصبحنا غرباء عن الطبيعة الالهية لأننا لم نشترك فيها . لكن نظرا لأن هذه الحقيقة - وهى أننا دعينا شركاء المسيح وشركاء الله - تبين أن المسحة والختم الذى فينا لا ينتمى إلى طبيعة الأشياء المخلوقة ، بل إلى طبيعة الابن الذى يتحدنا بالاب عن طريق الروح القدس الذى فينا . هذا ما نادى به يوحنا ، كما قدمنا ، عندما كتب قائلا « بهذا نعرف أننا نثبت فى الله وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه »[٣] .

وأن كنا بالاشتراك فى الروح القدس نصبح « شركاء الطبيعة

---

(١) ٢ بط ١ : ٤ (٢) ١ كو ٣ : ١٦ و١٧

(٣) ١ يو ٤ : ١٣

الالهية »(١) . فمن الجنون أن نقول إن الروح القدس له طبيعة مخلوقة لا طبيعة الله . لأن الذين فيهم الروح القدس تصبح لهم الطبيعة الالهية على هذا الأساس . وإن كان الروح القدس يجعل الناس شركاء الطبيعة الالهية فلا شك فى أن طبيعته طبيعة الهية .

ولزياده الإيضاح نقول لهدم هذه الهرطقة - إن المرنم يترنم ، كما قدمنا ، فى المزمور المائة والثالث قائلا « تنزع روحك فتموت وإلى ترابها تعود . ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الارض »(٢). وكتب بولس إلى تيطس قائلا «خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا »(٣). وإن كان الآب بالكلمة وفى الروح القدس يخلق كل الأشياء ويجددها فأى شبه أو أية قرابة بين الخالق والمخلوق ؟ كيف يمكن أن يكون مخلوقاً ذاك الذى فيه تخلق كل الأشياء ؟ أن مثل هذه الأقوال الشريرة تؤدى إلى التجديف على الابن ، حتى إن من يقولون إن الروح القدس مخلوق يقولون أيضا أن الكلمة مخلوق، ذاك الذى به تخلق كل الأشياء .

---

(١) ٢ بط ١ : ٤ (٢) مز ١٠٤ : ٢٩و٣٠
(٣) تى ٣ : ٥و٦ .

يقال عن الروح القدس — وهذا هو الأمر الواقع فعلا — هو صورة الابن « لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه »[1] . فان كانوا يعترفون بأن الابن ليس مخلوقا لا يمكن أن تكون صورته مخلوقا . لأن الصورة تماثل صاحب الصورة لهذا يعترف بحق وعدل أن الكلمة ليس مخلوقا. لأنه هو صورة الآب . ويكون من يحصى الروح القدس ضمن المخلوقات يحصى الابن يقينا ضمنها أيضا ، وبهذا يجدف على الآب أيضا إذ يجدف على صورته .

٢٥

إذاً فالروح القدس يتميز عن المخلوقات ، وواضح أنه مماثل للابن وليس غريبا عن الله . أما عن سؤالهم الحكيم « إن كان الروح القدس من الله فلماذا لا يدعى هو نفسه ابناً » فقد بينا فيما تقدم أن هذا سؤال طائش وقح . والآن نبين أنه ليس أقل من هذا . فإنه حتى لو لم يدع ابنا فى الكتاب المقدس ، بل دعى روح الله ، فقد قيل إنه فى الله نفسه ، ومن الله نفسه ، كما كتب الرسول. وإن كان الابن ، لانه من الآب ، مماثل لجوهره ، فيلزم أن يكون

---

(١) رو ٨ : ٢٩

الروح القدس ، الذى قيل إنه من الله ، مماثلا للابن فى الجوهر . ولهذا فكما أن الرب يدعى إبناهكذا يدعى الروح القدس روح البنوة .

وأيضا كما أن الابن هو الحكمة والحق ، فالروح القدس قيل عنه إنه روح الحكمة والحق . وأيضا الابن هو قوة الله ورب المجد ، والروح القدس يدعى روح القوة والمجد . هكذا يشير الكتاب المقدس لكل منهما بهذا المعنى . فبولس كتب لأهل كورنثوس يقول « لو عرفوا لما صلبوا رب المجد »(١) . وفى موضع آخر يقول « إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف بل أخذتم روح التبنى »(٢) . وقال أيضا « أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخا يا أبا الآب »(٣) . وكتب بطرس قائلا « إن عيرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والقوة يحل عليكم »(٤) . والرب دعا الروح القدس « روح الحق » و « المعزى »(٥) . ومن هذا يبين بأن الثالوث كامل فيه . فيه يمجد الكلمة الخليقة ، وإذ يمنحها حياة الهية وبنوة فإنه يجذبها إلى الآب . والذى يتحد الخليقة بالكلمة لا يمكن أن ينتمى إلى المخلوقات ، والذى يمنح البنوة للخليقة لا يمكن أن يكون غريبا عن الابن . وإلا فيلزمنا أن نبحث عن روح آخر

---

(١) ١ كو ٢ : ٨ (٢) رو ٨ : ١٥ (٣) غل ٤ : ٦

(٤) ١ بط ٤ : ١٤ (٥) يو ١٤ : ١٦و١٧

حتى يمكن أن يتحد هذا الروح القدس بالكلمة بواسطته . وهذه سخافة شديدة . إذن فالروح القدس لا يمكن أن ينتمى إلى المخلوقات ، بل هو ينتمى إلى لاهوت الآب ، وفيه يجعل الكلمة المخلوقات تشترك فى الطبيعة الالهية . والذى فيه تشترك المخلوقات فى الطبيعة الآلهية لا يمكن أن يكون خارج لاهوت الآب .

٢٦

أما أن الروح القدس يسمو فوق المخلوقات ، ويتميز فى الطبيعة عن المخلوقات ، ومماثل للاهوت ، فيمكن أن يرى من الاعتبارات التالية أيضا . إن الروح القدس غير قابل للتغيير أو التبديل . لأنه يقول « الروح القدس يهرب من الغش وينفر طافراً من الأفكار العديمة الفهم »[١] . ويقول بطرس « فى الروح عديم الفساد الوديع الهادى »[٢] . وجاء أيضا فى الحكمة « روحك غير الفاسد هو فى الكل »[٣] . وأيضا إن كانت « أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله »[٤] ، وكما قال يعقوب ليس فى الله « تغيير ولا ظل دوران »[٥] ، فيلزم أن يكون الروح القدس غير قابل للتغيير أو التبديل أو الفساد لأنه فى الله . لكن طبيعة الأشياء المبدعة والأشياء المخلوقة قابلة للتغيير لأنها خارجة عن جوهر الله وأتت إلى الوجود من العدم.

---

(١) حكمة ١ : ٥ (٢) ١ بط ٣ : ٤

(٣) حكمة ١٢ : ١ (٤) ١ كو ٢ : ١١ (٥) يع ١ : ١٧

لأنه يقول « كل إنسان كاذب »[١] ، وأيضا « الجميع اخطأوا وأعوزهم مجد الله »[٢] ، « والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم (اللائق) حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام »[٣] . ويقول فى أيوب « هوذا ملائكته القديسون لا يأتمنهم . وإلى ملائكته ينسب حماقة . والكواكب غير نقية فى عينيه»[٤] . وبولس يكتب قائلا « الستم تعلمون أننا سندين ملائكة . فبالأولى أمور هذه الحياة »[٥] . ولقد سمعنا أيضا أن إبليس ، الذى كان بين الكروبيم ، وكان « خاتم الكمال » سقط « كالبرق من السماء »[٦] . أما إن كان الروح القدس هو هو لا يتغير ، بينما المخلوقات قابلة للتغيير ، وقد كتبت مثل هذه الأقوال عن الملائكة ، وإن كان الروح القدس يشترك مع الابن فى عدم التغير ويبقى معه إلى الأبد دون أن يتغير ، فأى شبه يمكن أن يكون بين غير المتغير وبين الأشياء المتغيرة ؟ من هذا يتضح أنه ليس مخلوقا ، ولا هو ينتمى إلى الملائكة فى الجوهر . لأنها هى متغيرة ، أما هو فأنه هو صورة الكلمة وينتمى إلى الآب .

وأيضا ، إن روح الرب يملأ المسكونة . هكذا ترنم داود

(١) مز ١١٦ : ١١ (٢) رو ٣ : ٢٣ (٣) يه ٦
(٤) اى ١٥ : ١٥ ، ٤ : ١٨ ، ٢٥ : ٥ (٥) ١ كو ٦ : ٣
(٦) حز ٢٨ : ١٢ ، ١٠ : ٧ ، ٢٨ : ١٤ ، لو ١٠ : ١٨

قائلا «أين أذهب من روحك»[١] . وكتب أيضا فى الحكمة «روحك غير الفاسد هو فى الكل» [٢] . أما الأشياء المبدعة فهى كلها فى الأماكن المعينة لها: الشمس والقمر والكواكب فى الجلد، والسحاب فى الجو. وللناس «نصب تخوما لشعوب»[٣]. والملائكة أرسلت للخدمة[٤] «وجاء الملائكة ليمثلوا أمام وجه الرب» [٥] كما كتب فى سفر أيوب . ورأى يعقوب رئيس الآباء حلماً «وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء . وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها»[٦] . وإن كان الروح القدس يملأ الكل، وفى الكلمة هو حاضر وسط الكل ، وإن كانت الملائكة قد حددت لها حدود لأنها أدنى منه ، وحيثما أرسلت تلزم مكانها ، فليس هنالك أقل شك فى أن الروح القدس لا ينتمى الى الأشياء المبدعة ، ولا هو ملاك على الإطلاق كما تقولون ، بل هو بالطبيعة اسمى من الملائكة .

---

(١) مز ١٣٩ : ٧ (٢) حكمة ١٢ : ١
(٣) تث ٣٢ : ٨ (٤) عب ١ : ١٤
(٥) اى ١ : ٦ (٦) تك ٢٨ : ١٢

٢٧

ومما يلى أيضا يتبين كيف أن الروح القدس يشترك فيه دون أن يشترك هو فى أحد (ونحن لا نبالى كثيرا ان كنا نكرر الكلام). لأنه كما يقول الكتاب «ان الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة ..»[١]. فالملائكة وسائر الخليقة تشترك فى الروح القدس نفسه، لهذا فإنهم يمكن أن يسقطوا ممن يشتركون فيه. أما الروح القدس فهو هو على الدوام. انه لا ينتمى إلى من يشتركون فيه، لكن الكل يشتركون فيه. وإن كان هو ثابتا دواما، ويشترك فيه دواما، وإن كانت الخليقة تشترك فيه، فلا يمكن أن يكون الروح القدس ملاكا أو مخلوقا من أى نوع، بل مماثل للكلمة. وإذ أعطى بالكلمة فإن الخليقة تشترك فيه. لأنهم كانوا يريدون أن يقولوا إن الابن مخلوق، الذى فيه صرنا كلنا شركاء فى الروح القدس.

وأيضا، الروح القدس واحد، أما الخليقة فإنها متعددة. فالملائكة «ألوف ألوف»، و «ربوات ربوات»[٢]، وهنالك

---

(١) عب ٦ : ٤ و ٥ (٢) دا ٧ : ١٠

أنوار كثيرة[١] ، وعروش وأرباب وسماوات وكروبيم وسرافيم ورؤساء ملائكة كثيرون . وبالإيجاز ، أن الخليقة ليست واحداً بل كثيرة ومتعددة . وان كان الروح القدس واحداً ، والخليقة كثيرة ، والملائكة كثيرين ، فأى شبه يمكن أن يكون بين الروح القدس وبين الأشياء المبدعة . واضح أن الروح القدس لا ينتمى إلى الكثيرين ، ولا هو ملاك . لكن لأنه واحد ، والأكثر من ذلك ، لأنه مماثل للكلمة الذى هو واحد ، فإنه مماثل لله الذى هو واحد ، وهو واحد معه فى الجوهر .

هذه الأقوال عن الروح القدس ، هى وحدها فى حد ذاتها تبين أنه فى الطبيعة والجوهر لا يشترك مع المخلوقات فى أى شىء ولا يماثلها فى أى شىء ، بل هو متميز عن الأشياء المبدعة ، وهو مماثل لاهوت الابن وجوهره ، وليس غريبا عنه ، وبفضل هذا الجوهر وهذه الطبيعة هو واحد من الثالوث المقدس . وهذا يفضح غباوتهم .

(١) هذا استنتاج مما ورد فى تك ١ : ١٤

٢٨

وعلاوة على هذه الأقوال ، لنتأمل فى تقليد الكنيسة الجامعة وتعاليمها وإيمانها منذ البدء التى أعطاها الرب ، وكرز بها الرسل ، وحفظها الآباء . على هذه تأسست الكنيسة ، ومن يسقط منها لايعتبر مسيحيا ، ولا يدعى مسيحيا بعد . إذا فهنالك ثالوث ، مقدس وكامل ، ومعترف به بأنه الله ، الآب والابن والروح القدس ، لايختلط معه شىء غريب أو خارجى ، لايتكون من واحد يخلق وواحد مبدع ، بل الكل يخلقون ، وهو متماثل ، وفى الطبيعة غير قابل للتجزئة ؛ ونشاطه واحد . الآب يعمل كل الأشياء بالكلمة فى الروح القدس . وهكذا تحفظ الوحدة فى الثالوث المقدس . وهكذا ينادى بإله واحد فى الكنيسة «الذى على الكل وبالكل وفى الكل»(١) . «على الكل» كآب ، كبداءة ، كينبوع . «بالكل» أى بالكلمة . «وفى الكل» أى فى الروح القدس . هو ثالوث ، ليس فقط بالاسم وبالكلام ، بل بالحق والفعل . لأنه كما أن الآب واحد وإله على الكل ، هكذا أيضا كلمته واحد وإله على

---

(١) أف ٤ : ٦

الكل . والروح القدس ليس بدون وجود فعلى ، بل هو كائن وله وجود فعلى .

إن الكنيسة الجامعة لاتعتقد بأقل من هذه الأقانيم ، لئلا تنحدر إلى مستوى اليهود العصريين ، مقلدى قيافا ، ومستوى سابليوس[1] . وهى لاتضيف إليهم لئلا تنجرف فى الاعتقاد بتعدد الآلهة كالوثنيين . ولكى يدركوا أن هذه هى عقيدة الكنيسة فليتعلموا كيف أن الرب عندما أرسل الرسل أمرهم بأن يضعوا هذا الأساس للكنيسة قائلا «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس »[2] . فذهب الرسل ، وهكذا علموا ، وهذه هى الكرازة التى تمتد إلى كل الكنيسة التى تحت السماء

٢٩

وطالما كان للكنيسة اساس الإيمان هـذا فليخبرنا هؤلاء الأشخاص مرة اخرى وليجيبوا : هل الله فى ثالوث أو مثنى ؟

---

(١) أحد الهراطقة الذين ظهروا فى القرن الثالث . ونادى بأنه لايوجد إلا جوهر الهى واحد عمل فى ثلاثة مظاهر وقتية متتابعة ، فظهر كخالق ومشرع فى الآب ، وكفاد فى الابن ، وكمحيى فى الروح القدس . (٢) مت ٢٨ : ١٩

إن كان مثنى حق لكم أن تحسبوا الروح القدس ضمن المخلوقات . وفى هـــذه الحالة تكون العقيدة التى تؤمنون بها ليست فى إله واحد « على الكل وبالكل وفى الكل »[١] . إن كنتم تفصلون وتعزلون الروح القدس من اللاهوت لا يكون لـــكم ذاك الذى هو « فى الكل » ، وإن فكرتم هكذا فإن طقس الانضمام إلى إلى الكنيسة[٢] الذى تدعون بأنكم تمارسونه ليس فى اللاهوت قطعا . لأنكم تمزجون فى اللاهوت مخلوقا ، وأنتم أيضا ـ مثل الاريوسيين والوثنيين ـ تعترفون بأن الخليقة إلهية مع الله الذى خلقها بكلمته . ان كانت هذه هى وجهة نظركم فأى رجاء لكم ؟ من ذا يتحدكم مع الله ان لم يكن لكم روح الله بل الروح الذى ينتمى الى الخليقة ؟ ياطياشتكم وإهمالكم ان تخفضوا الآب وكلمته إلى مستوى الخليقة ، وان تضعوا الخليقة فى مستوى واحد مع الله . لأن هذا ما تعملونه عندما تتوهمون بأن الروح القدس مخلوق وفى نفس الوقت تحسبونه ضمن الثالوث . ويا لجنونكم

---

(١) اف ٤ : ٦

(٢) اى طقس المعمودية .

ايضا أن تحسبوا الله غير عادل ، اذ لا يحصى مع الله وكلمته كل الملائكة وكل المخلوقات بل واحد منها فقط . لأنه لو كان الروح القدس فى وقت واحد - كما تقولون - ملاكا ومخلوقا ومحسوباً ضمن الثالوث ، لكان من اللازم أن تحسب كل الملائكة التى خلقت - لا ملاكا واحدا فقط - ضمن اللاهوت، ولا يبقى بعد ثالوث بل عدد لا حصر له فى اللاهوت . ويكون طقس الانضمام إلى الكنيسة. ونكرر القول اذ نقول انه يظهر انه طقسكم ، مقسما إلى هذه الناحية وتلك ، ويكون بلا ضمان بسبب تلونه . هكذا تكون طقوسكم وطقوس الاريوسيين الذين يطعنون فى اللاهوت ويعبدون الخليقة دون الله الذى خلق كل الأشياء

٣٠

ان امثال هذه السخافات تواجهكم إذا ما قلتم إن الله مثنى . إما إن كان ثالوثا - وهذا هو الأمر الواقع فعلا - وان كان قد اتضح بأن الثالوث غير قابل للتجزئة ، وانه متماثل ، فيلزم أن تكون قداسته واحدة ، وأن أبديته واحدة، وطبيعته غير المتغيرة واحدة . لأنه كما أن الايمان بالثالوث - الذى سلم الينا - يتحدنا بالله ، وكما أن من ينتزع شيئاً من الثالوث ويعتمد باسم الآب

وحده . أو باسم الابن وحده ، أو باسم الاب والابن دون الروح القدس ، لا ينال شيئاً ، بل يظل عديم الجدوى ودون أن ينضم إلى الكنيسة ، هو ومن يدعى انه يضمه (لأن طقس الضم هو باسم الثالوث) ، هكذا من يفصل الابن من الآب ، أو من يخفض الروح القدس إلى مستوى المخلوقات ، ليس له الابن ولا الآب ، بل هو بلا إله ، وهو اشر من غير المؤمن ، وهو غير مسيحى . وهذا حكم عادل . لأنه كما أن المعمودية ، التى تتمم باسم الآب والابن والروح القدس ، هى واحدة ،وكما أنه يوجد إيمان واحد فى الثالوث - كما قال الرسول - هكذا ايضا الثالوث المقدس ، اذهو متماثل مع ذاته ، ومتحد بنفسه ، فانه ليس فيه شيء ينتمى للاشياء المبدعة . هذه هى وحدة الثالوث غير المتجزئة ، والايمان به واحد .

اما اذا كان الأمر ليس كذلك بمقتضى الاكتشاف الجديد الذى اكتشفتموه ايها «المتقلبون» ، ان كنتم قد رايتم احلاما بان الروح القدس دعى مخلوقا ، فإذن ليس لكم إيمان واحد أو معمودية واحدة ، بل ايمانان ومعموديتان ، ايمان ومعمودية باسم الآب والابن ، وإيمان ومعمودية باسم ملاك الذى هو مخلوق . ولم يبق لكم ضمان أو حق . لأنه اية شركة يمكن أن تكون بين

الشيء المبدع وبين من يخلق ؟ أي اتحاد بين المخلوقات الدنيئة وبين الكلمة الذي خلقها ؟ وإذ علم المغبوط بولس هذا فانه لم يقسم الثالوث كما تفعلون . بل اذ نادى بوحدته عندما كتب لأهل كورنثوس عن الروحيات وجد مصدر كل شيء في الله الواحد الآب قائلا : «أنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد. وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد . وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل » (١). فالمواهب التي يقسمها الروح القدس لكل واحد تمنح من الآب بالكلمة . لأن كل ما للآب هو للابن ايضا إذا فتلك التي تمنح من الابن في الروح القدس هي مواهب الآب . وعندما يكون الروح القدس فينا يكون فينا ايضا الكلمة الذي يمنح الروح القدس ، والآب الذي هو في الكلمة . وهذا يتفق مع ما قيل « اليه نأتي ، أنا والآب ، وعنده نصنع منزلا »(٢). لأنه حيث وجد النور وجد أيضا الشعاع ، وحيث وجد الشعاع وجد ايضا نشاطه ووجدت نعمته الخافقة .

هذا ما نادى به أيضا الرسول عندما كتب لاهل كورنثوس في الرسالة الثانية « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم » (٣) . لأن هذه النعمة والموهبة التي

(١) ١كو١٢ : ٤-٦ (٢) يو ١٤ : ٢٣ (٣) ٢كو ١٣ : ١٣

تمنح انما تمنح فى الثالوث من الآب بالابن فى الروح القدس .

وكما أن النعمة المعطاة هى من الآب بالابن ، هكذا لا يمكننا ان نشترك فى الموهبة الا فى الروح القدس . لاننا عندما نشترك فيه تصبح لنا محبة الآب ونعمة الابن وشركة الروح القدس نفسه .

٣١

هذه الحقيقة أيضا تبين أن عمل الثالوث واحد . فالرسول لايعنى أن ما يعطى يعطى بالتجزئة وعلى حدة من كل اقنوم ، بل أن ما يعطى يعطى فى الثالوث ،وأن كل مايعطى هومن اللهالواحد. إذا فذاك الذى ليس هو مخلوقا ، بل هو واحد مع الابن كما أن الابن واحد مع الآب ، ذاك الذى هو ممجد مع الآب والابن ، المعترف به بأنه إله مع الكلمة ، الذى يعمل فى الأعمال التى يعملها الآب بالابن — ألا يعتبر الشخص الذى يدعوه مخلوقا مجرما ، ويجدف تجديفا مباشراً على الابن نفسه ؟ لأنه لا يوجد شىء لم يبدع ولم يعمل بالابن فى الروح القدس . هذا ما ترنم به المزمور

« بكلمة الرب صنعت السماوات وبروح فيه كل جنودها » [١]. وفى المزمور المائة.

والسابع والأربعين قيل « يرسل كلمته فيذيبها . يهب بروحه فتسيل المياه»[٢] . ونحن قد تبررنا — كما يقول الرسول — « باسم ربنا يسوع وبروح إلهنا » [٣] لأن الروح غير منفصل عن الكلمة. فعندما يقول المسيح « نأتى . الآب وأنا » [٤] فإن الروح يأتى معهما ويسكن فينا بكيفية لا تقل عن الابن ، كما كتب بولس إلى أهل أفسس « لكى يعطيكم بحسب غنى مجده ، أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الانسان الباطن ليحل المسيح ..»[٥] . وإن كان الابن فينا فالآب فينا أيضا ، كما يقول الابن «أنا فى الآب والآب فى » [٦] . لذلك فعندما يكون الكلمة فى الأنبياء فانهم يتنبأون فى الروح القدس . إن قال الكتاب « اتت كلمة الرب » [٧] إلى هذا النبى كان معنى هذا أنه تنبأ فى الروح القدس . وورد فى زكريا « لكن اقبلوا كلامى وفرائضى التى أوصيت بها عبيدى

---

(١) مز ٣٣:٦ (٢) مز ١٤٧:١٨ (٣) ١ كو ٦:١١
(٤) يو ١٤:٢٣ (٥) اف ٣:١٦و١٧ (٦) يو ١٤ :١٠
(٧) ار ١ : ٢ ، مى ١ : ١

الأنبياء بروحى»[١] . وعندما وبخ النبى الشعب بعد ذلك بقليل قال « جعلوا قلبهم عنيدا لئلا يسمعوا شريعتى والكلام الذى أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين » [٢] . وقال بطرس فى سفر الأعمال « أيها الاخوة كان ينبغى أن يتم الكتاب الذى سبق الروح القدس فقاله » (٣) . وصرخ الرسل معا قائلين « أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والارض والبحر وكل ما فيها . القائل بالروح القدس بفم داود فتاك ..» [٤] وعندما كان بولس فى رومية تكلم بجسارة إلى اليهود الذين أتوا اليه قائلا « حسنا كلم الروح القدس أباءنا بأشعياء النبى »[٥]. وورد فى الرسالة الى تيموثاوس « الروح يقول صريحا إنه فى الازمنة الاخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحا مضلة » [٦]

وهكذا نرى أنه عندما يقال إن الروح القدس فى أى واحد فان هذا يعنى أن الكلمة حال فيهما نحا الروح القدس . عندما تمت النبوة « إنى أسكب روحى على كل بشر » [٧] قال بولس « حسب

---

(١) زك ١ : ٦ (٢) زك ٧ : ١٢ (٣) اع ١ : ١٦
(٤) اع ٤ : ٢٤و٢٥ (٥) اع ٢٨ : ٢٥ (٦) ١ تى ٤ : ١
(٧) يوئيل ٢ : ٢٨

عطية روح يسوع المسيح لى » [١] . وكتب إلى أهل كورنثوس قائلا « إن كنتم تطلبون برهان المسيح المتكلم فى » [٢]. وان كان الذى تكلم فيه هو المسيح ، فواضح أن الروح الذى تكلم فيه هو روح المسيح . لانه عندما كان المسيح يتكلم فيه قال مرة أخرى فى سفر الاعمال « والآن ها أنا ذاهب إلى اورشليم مقيدا بالروح لا أعلم ما يصادفنى هناك . غير أن الروح القدس يشهد فى كل مدينة قائلا إن وثقا وشدائد تنتظرنى » [٣]

لذلك فإن قال القديسون « هكذا قال الرب » [٤] . فإنهم إنما يتكلمون بالروح القدس لا سواه . وإن تكلموا بالروح القدس تكلموا بأمور الروح فى المسيح . وعندما قال اغابوس فى سفر الاعمال « هذا يقوله الروح القدس » [٥] لم يكن ذلك سوى أن الروح القدس منحه ـ بالكلمة الذى أتى اليه ـ القوة ليتكلم ويشهد بما كان ينتظر بولس فى أورشليم . وهكذا أيضا عندما شهد

---

(١) فى ١ : ١٩ (٢) ٢ كو ١٣ : ٣
(٣) اع ٢٠ : ٢٢ و ٢٣ (٤) انظر مثلا عا ١ : ٣
(٥) اع ٢١ : ١١

الروح القدس ابولس كان المسيح يتكلم فيه كما قدمنا ، وهكذا كانت الشهادة التى أتت من الروح تنتمى الى الكلمة . وعندما افتقد الكلمة العذراء القديسة مريم أتى الروح القدس اليها معه ، وصاغ الكلمة الجسد بالروح القدس وشكله لذاته ، اذ أراد أن يتحد كل البشرية بالله ويحضرها اليه بواسطة نفسه ، وبه يصالح الكل عاملا الصلح .... سواء كان ما على الأرض أم ما فى السماوات (١) .

٣٢

اذا فالاسفار الإلهية تبين بكيفية ثابتة لا تتغير ان الروح القدس ليس مخلوقا بل هو معادل للكلمة وللاهوت الآب .

وهكذا يشترك تعليم القديسين فى تأييد عقيدة عدم تجزؤ الثالوث المقدس . وهذه هى العقيدة الواحدة للكنيسة الجامعة . اما اختراعات « المتقلبين » الجنونية الخرافية فانها تتناقض مع الاسفار المقدسة وتتفق مع حماقة الاريوسيين المجانين . انه لأمر

---

(١) كو ١ : ٢٠

طبيعى لهم أن يتظاهروا بهذه الكيفية لكى يخدعوا البسطاء . لكن شكراً لله ، فانهم ، كما كتبت لم ينجحوا فى ستر موقفهم بالتظاهر بمقاومة الاريوسيين . والواقع انهم اكتسبوا غضبهم لأنهم دعوا الروح القدس فقط مخلوقا ، ولم يدعوا الابن مخلوقا كذلك ، وقد شجبهم كل الناس لأنهم فى الواقع يحاربون الروح القدس ، وهم فى عداد الموتى لأنهم خالون من « الروح » . وإذ صاروا اناسا طبيعيين [1] -حسب تعبير الرسول المغبوط -فانهم لم يستطيعوا أن يقبلوا امور روح الله ، لأن هذه الأمور يحكم فيها روحيا . أما الذين يهتمون بالأمور التى تنتمى إلى الحق فإنهم يحكمون فى كل شىء ، لكنهم هم أنفسهم لا يحكم فيهم من أحد، لأن فيهم الرب الذى يعلن لهم ذاته فى الروح القدس ، ويعلن لهم الآب فى شخصه ،

٣٣

ومع أننى أعيش الآن فى برية إلا أننى بسبب وقاحة من انحرفوا عن الحق لم أبال باولئك الذين سوف يسرون ويضحكون على

---

(١) ١كو ٢ : ١٤

ضعف تفسيرى وقصوره . لكننى إذ كتبت بالإيجاز فاننى أرسل كتابتى إلى ورعك ، راجيا بتوسلات كثيرة أن تصحح مايحتاج إلى تصحيح عندما تقرأها ، وأن تقبل عذرى حيثما رأيت ضعفا فى الكتابة . ووفق الإيمان الرسولى المسلم الينا بالتقليد من الآباء قد سلمت التقليد دون اختراع أى شىء دخيل عليه . وما تعلمته قد كتبته متفقا مع الأسفار المقدسة لأنه يتفق أيضا مع تلك الفقرات المقتبسة من الأسفار المقدسة السابق ذكرها على سبيل البرهان . إنه ليس اختراعا دخيلا ، لكن الرب يسوع المسيح نفسه علم المرأة السامرية بشخصه ، وعلمنا نحن أيضا بواسطتها عن كمال الثالوث المقدس الذى هو لاهوت واحد غير مجزأ . أن « الحق » نفسه هو الذى يشهد عندما يقول لها «ياامرأة صدقينى انه تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لأن الآب طالب مثل هؤلاء ليست الساجدين له . الله روح والدين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا[١] واضح من هذه العبارة أن «الحق» هو الرب نفسه . لأنه يقول « أنا هو الحق »[٢] ، وبصدده صلى النبى

---

(١) يو ٤ : ٢١ — ٢٤ (٢) يو ١٤ : ٦

داود قائلا « أرسل نورك وحقك » (١) ، إذن فالساجدون الحقيقيون يسجدون للآب ، لكن بالروح والحق ، معترفين بالابن ومعترفين بالروح فيه . لأن الروح القدس لا ينفصل عن الابن ، كما أن الابن لا ينفصل عن الآب . « والحق » نفسه يشهد حينما يقول « سأرسل لكم المعزى روح الحق الذى من عند الآب ينبثق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله » (٢) أى الذين ينكرون أنه من الآب فى الابن .

لهذا يجب علينا — على مثال الساجدين الحقيقيين — أن نعترف « بالحق » وأن ننحاز إليه . وأن كانوا بعد هذا لا يزالون غير راغبين فى أن يتعلموا أو يفهموا فعليهم على الأقل أن يكفوا عن الأقوال السيئة . عليهم أن لا يجزئوا الثالوث لئلا يفصلوا عن الحياة . عليهم أن لا يحصوا الروح القدس ضمن المخلوقات ، لئلا يشبهوا الفريسيين فى القديم الذين نسبوا أعمال الروح القدس لبعلزبول ، فيستحقوا مثلهم — بسبب غطرستهم المماثلة — القصاص الذى بلا رجاء فى الغفران سواء هنا أو فيما بعد .

---

(١) مز ٤٣ : ٣ (٢) يو ١٥ : ٢٦ ، ١٤ : ١٧

الرسالتان

الثانية والثالثة

١

الرسالة الثانية :

كنت أظن أنى قد كتبت بالإيجاز ، وهذا ما حدث فعلا. والواقع أننى اتهمت نفسى بالضعف الكثير ، لأننى عجزت عن أن اكتب كل ما تستطيع الطاقة البشرية أن تقوله ضد أولئك الذين أجرموا بالتهجم ضد الروح القدس . لكن طالما كان بعض الأخوة — كما كتبت — قد طلبوا فعلا الكتابة بإيجاز لكى تكون لديهم الوسيلة حاضرة موجزة للرد على من يسألون عن الإيمان الذى فينا ولتبكيت الملحدين ، رأيت أن اكتب هذه أيضا واثقا أنه إن وجد أى نقص هنا أيضا فانك لن تردد عن تكملته

أن الأريوسيين إذ انهمكوا فى التفكير فى أنفسهم ، وتوهموا كالصدوقيين أنه لايوجد أسمى وأعظم منهم ، اخضعوا الأسفار الملهمة للحجج البشرية . فإنهم كلما سمعوا أن الابن حكمة الآب وشعاعه وكلمته اعتادوا توجيه هذا السؤال : « كيف يمكن أن

يكون هذا» ، كأنه لا يمكن ان يكون شيء إلا إذا فهموه . وعلى هذا القياس يجب ان يشغلوا عقولهم بأسئلة مماثلة عن الكون أيضا . كيف يمكن أن تأتى الخليقة إلى الوجود مع أنها لم تكن من قبل؟ كيف يمكن أن يصاغ تراب الأرض فى شكل إنسان عاقل؟ كيف يمكن للفاسد أن يصير عديم فساد؟ كيف اسست الأرض «على البحار» وكيف ثبتها الله على الأنهار؟ [1] واخيرا يجب ان يضيفوا لأنفسهم هذه العبارة «لنأكل و نشرب لأننا غدا نموت» [2] لكى يكون واضحا ان هرطقتهم الجنونيـــة سوف تهلك معهم عندما يهلكون .

٢

لا شك فى أن أراء الأريوسيين هذه مصيرها إلى الزوال والفناء . لكن تعليل الحق الذى كان يجب أن يفطنوا اليه هو هذا : ان كان الله ينبوعا ونورا وأبا فليس من الصواب القول بأن الينبوع جاف ، أو ان النور ليس له شعاع ، او ان الله ليس له كلمة ، لئلا يكون الله بلا حكمة ولا عقل ولا بهاء .

وكما ان الآب ازلى يجب ان يكون الابن ايضا ازليا ، لأن

(١) مز ٢٤ : ٢ (٢) ١ كو ١٥ : ٣٢

كل ما نراه فى الآب يجب ان يكون بلا جـــدال فى الابن . فالرب نفسه يقول « كل ما الآب هولى » (١) « وكل ما لى فهو لك » (٢) اى الآب .

والآب ازلى ، فالابن أيضاً ازلى ، لأن به اتت الدهور إلى الوجود :

والآب واحد كائن ، وبالضرورة يجب ان يكون الابن كائنا « الكائن على الكل الها مباركا إلى الأبد امين » (٣) كما قال الرسول . فليس من الجائز القول عن الآب « كان هنالك وقت لم يكن فيه موجودا » . وليس من الجائز القول عن الابن « كان هنالك وقت لم يكن فيه موجوداً »

الآب قادر على كل شىء ، والابن أيضا قادر على كل شىء كما يقول يوحنا « هذا ما يقوله الرب الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شىء » (٤) .

الآب نور ، والابن شعاع ونور حقيقى .

الآب إله حق والابن إله حق ، لأنه هكذا كتب يوحنا « ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح . هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية » (٥)

(١) يو ١٦ : ١٦ (٢) يو ١٧ : ١٠ (٣) رو ٩ : ٥
(٤) رؤ ١ : ٨ (٦) ١ يو ٥ : ٢٠

وبالإيجاز نقول إنه من كل ما للآب لا يوجد شيء ينقص الابن. لذلك فالابن فى الآب [١] ، والآب فى الابن ، لان كل ما للآب موجود فى الابن ويمكن رؤيته فى الآب .

على ضوء هذا يمكن فهم هذه العبارة «انا والآب واحد» [٢] لانه لا توجد اشياء معينة فى الاب وأخرى فى الابن ، لكن تلك التى فى الآب موجودة فى الابن ايضاً . وان كنتم ترون فى الابن تلك الأشياء التى ترونها فى الآب ادركتم تمام الإدراك ذلك القول «الذى رآنى فقد رأى الاب» [٣]

٣

والآن وقد قدمنا البراهين الكافية على هذه النقط فان من يقول ان الابن مخلوق يعتبر ملحداً . لأنه ملزم ان يطلق نفس التسمية اى «مخلوق» على الينبوع الذى ينبع منه — كخليقته — الحكمة والكلمة الذى فيه كل ما للآب .

وفوق الكل ، يمكن ان يتبين المرء مما يلى كيف ان هرطقة الاريوسيين المجانين عاطلة وفاسدة . اولئك الذين نحن نماثلهم ، ونشاركهم فى طبيعتهم ، ونشاركهم فى الجوهر . فمثلا نحن البشر يماثل كل منا الآخر فى الجوهر ، لأننا كلنا متساوون ونشترك فى الطبيعة الواحدة . لأننا كلنا فانون وفاسدون وقابلون للتغير وخلقنا

---

(١) يو ١٤ : ١٠ (٢) يو ١٠ : ٣٠ (٣) يو ١٤ : ٩

من العدم . هكذا الحال أيضاً مع الملائكة ، وسائر المخلوقات التي يشترك بعضها مع بعض فى طبيعة واحدة . فليفحص إذن هؤلاء الفضوليون إن كان هنالك اى شبه بين المخلوقات وبين الابن ، او ان كانوا يستطيعون ان يجدوا فى المخلوقات ما يجدونه فى الابن حتى يجرأوا على القول ان كلمة الله مخلوق لاشك. فى أنهم لن يجدوا ، اولئك الرجال الذين يندفعون بتهور نحو كل شىء ، ويضلون عن العبادة الحقيقية . بين المخلوقات لا يوجد ما هو قادر على كل شىء ، ولا يوجد ما يخضع الآخر[1] لان الكل ملك لله نفسه .

« السموات تحدث بمجد الله »[2] و « للرب الأرض وملؤها »[3] ، « البحر رآه فهرب »[4] . الكل عبيد لذاك الذى هو سيدهم ، صانعين كلمته ومطيعين أوامره . اما الابن فهو قادر على كل شىء كالآب كما بينا من الكتاب المقدس وأيضاً لا يوجد بين المخلوقات ما هو غير قابل للتغير بطبيعته فبعض الملائكة لم يحفظوا رياستهم[5] ، « والكواكب غير نقية فى عينيه »[6] .

---

(١) ان ما يقولة اثناسيوس هنا يتفق مع ما نادى به القديس باسليوس « بين البشر لا يوجد من هو عبد بالطبيعة ... وكخليقة الخالق كلنا عبيد متساوون »

(٢) مز ١٩ : ١ (٣) مز ٢٤ : ١ (٤) مز ١١٤ : ٣

(٥) يه ٦ (٦) اى ٢٥ : ٥

وابليس سقط من السماء ، وآدم تعدى ، وكل الأشياء تتغير . هكذا يذكرنا بولس بما ورد فى المزمور المائة والأول «وأنت يارب اسست الأرض . والسماوات هى عمل يديك . هى تبيد ولكن أنت تبقى . وكلها كثوب تبلى . وكرداء تطويها فتتغير ولكن انت انت وسنوك ان تفنى »[1]. ثم يقول أيضاً « يسوع المسيح هو هو امساً واليوم وإلى الأبد »[2]

٤

وايضا أن كل المخلوقات لم تكن ثم برزت إلى الوجود . لانه « جعل الأرض كلا شىء »[3] . « يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة »[4] . وهى أيضاً مصنوعات ومخلوقات . لذلك فإن لها بداية ، هى التى برزت منها إلى الوجود . لانه « فى البدء خلق الله السماء والأرض »[5] وكل مافيهما وأيضاً « كل هذه صنعها يدى »[6] لكن الابن هو كالآب واحد كائن الهاً على الكل ، كما قدمنا[7] . انه ليس مصنوعا ، بل هو يصنع . انه

(١) عب ١ : ١٠-١٢ (٢) عب ١٣ : ٨
(٣) اش ٤٠ : ٢٣ حسب الترجمة السبعينية
(٤) رو ٤ : ١٧ (٥) تك ١ : ١ (٦) اش ٦٦ : ٢
(٧) فقرة ٢ صفحة ٦٥

لم يخلق بل هو يخلق ويعمل اعمال الآب . به برزت الدهور إلى الوجود « كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان »[١] وحسب تفسير الرسول لمضمون المزمور هو فى البدء وضع أساسات الأرض ، والسماوات هى عمل يديه .

وايضاً لا يوجد بين المخلوقات من هو بالطبيعة اله . كل ما اتى الى الوجود سمى باسمه الخاص ، دعى أحدها سماء ، ودعى الاخر ارضا . دعى البعض كواكب سيارة ، ودعيت الاخرى نجوما . دعيت البعض بحاراً ، ثم اعماقا ، ثم دواب ، وأخيراً الانسان . وقبل هذه الملائكة ورؤساء الملائكة ، الكروبيم ، القوات ، الرياسات ، السلطات ، السلاطين ، الفردوس . وكل منها باق . وان كان البعض منها قد دعى الهة فإن ذلك ليس بالنسبة إلى طبيعتها بل بفضل اشتراكها فى الابن . هكذا قال هو نفسه « ان قال الهة لأولئك الذين صارت اليهم كلمة الله »[٢] اذن فلانهم ليسوا الهة بالطبيعة فانه يأتى وقت حين يتغير بعضهم ويسمعونه يقول « انا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم . لكن مثل الناس تموتون »[٣] هكذا كان ذاك الذى سمع الله يقول « انت انسان لا اله » [٤]

---

(١) يو ١ : ٣ (٢) يو ١٠ : ٣٥ (٣) مز ٨٢ : ٦ و ٧
(٤) حز ٢٨ : ٩

اما الابن فانه اله حق مثل الآب . لأنه فيه ، والآب فى الابن . هذا ما كتبه يوحنا كما قدمنا ، ويترنم داود قائلا « كرسيك يا الله إلى دهر الدهور . قضيب استقامة قضيب ملكك » (١) . ويصرخ اشعيا النبى قائلا «مصر اكتسحت وتجارة الكوشين . السبئيون ذوو القامة اليك يعبرون . ولك يكونون. خلفك يمشون بالقيود ولك يسجدون لان الله فيك لانك اله إسرائيل ونحن لم نعرفك » (٢) . فمن هو هذا الاله الذى يوجد فيه الله سوى الابن الذى قال « انا فى الاب ، والآب فى » (٣)

٥

وطالما كانت هذه الحقائق يقينية ومدونة فى الكتاب المقدس فمن ذا الذى لا يمكنه أن يدرك بأن الابن ينبغى أن يكون مساويا للاب فى الجوهر نظراً لأنه لا يوجد أى شبه بينه وبين المخلوقات بل له كل ما للآب ؟ كان يصح القول بانه مساو للمخلوقات فى الجوهر لو كان هنا لك أى شبه بينه وبينها أو أى قرابة لها . أما وأنه بعيد كل البعد فى الجوهر عن المخلوقات ، وهو الكلمة المماثل

---

(١) مز ٤٥ : ٦ (٢) اش ٤٥ : ١٤ ، ١٥ (٣) يو ١٤ : ١

الآب ، كما وأن الكلمة يختلف كل الاختلاف عن المخلوقات ، ويمتلك كل الخواص التى تخص الآب ، فينتج من هذا انه مساو للآب فى الجوهر . هذا ما أدركه الآباء عندما اعترفوا فى مجمع نيقية أن الابن «مساو للآب فى الجوهر» و«من نفس جوهر الآب» . وحسنا أدركوا انه لا يمكن لاى جوهر مخلوق أن يقول «كل للآب هو لى» [١] ولا يمكن القول أنه كائن ازلى ، لان له بداية برز لها إلى الوجود

إذن فمن حيث أن الابن لا يستمد صفاته من أحد ، ومن حيث أن كل ما سبق ذكره عن الآب هو للابن ، فيجب أن يكون جوهر الابن غير مخلوق ، بل هو مساو للآب فى الجوهر. إن طبيعته لن يمكن أن تكون مخلوقة لهذا السبب - فوق كل شيء - وهو أنها تستطيع أن تدرك خواص الله . واعنى بخواصه تلك الصفات التى بها يعرف أنه اله ، مثلا انه كلى القدرة ، وأن له وجوداً ، وانه غير متغير ، وسائر الصفات السابق ذكرها ، لئلا يبدو الله نفسه فى نظر الحمق أنه من نفس جوهر المخلوقات إن كانت له تلك الصفات التى تستطيع المخلوقات الحصول عليها .

---

(١) يو ١٦ : ١٥

٦

بهذه الكيفية أيضا يمكننا أن نفند كفر اولئك الذين يقولون أن كلمة الله مخلوق . فان ايماننا هو فى الآب والابن والروح القدس كما قال الابن نفسه للرسل « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس » (١) وهكذا تكلم حتى نستطيع بواسطة ما نعرفه أن ندرك المواضيع التى سبق أن تحدثنا عنها . وكما اننا لا ندعو اباءنا صانعينا بل والدينا ، وكما أنه لا يدعونا احد خليقتهم ، بل أبناء بالطبيعة ومساوين لهم فى الجوهر ، هكذا إن كان الله أبا فيجب ان يكون أبا لواحد هو ابن بالطبيعة ومساو له فى الجوهر . أن إبرهيم لم يخلق اسحق بل ولده . وبصلئيل واهولياب لم يلدا كل أعمال خيمة الاجتماع بل صنعاها . وصانع السفينة والبناء لا يلدان الأشياء التى يصنعانها لكنهما يصنعان ، الواحد يصنع السفينة والآخر يبنى البيت . واسحق لم يصنع يعقوب ، لكنه ولده ابنا بالطبيعة . وعلى هذا المثال يعقوب ولد يهوذا واخوته . وكما انه من الجنون ان يقول المرء ان البيت من نفس جوهر البناء ، والسفينة من نفس جوهر

---

(١) مت ٢٨ : ١٩

صانعها ، هكذا يصح القول إن كل ابن من نفس جوهر ابيه . فان كان هنا لك « الاب والابن » وجب ان يكون الابن ابنا بالطبيعة والحق، ومساويا للاب فى الجوهر كما بينا بايضاحات كثيرة .

كتب عن الاشياء التى خلقت « هو تكلم فوجدت . هو امر فخلقت » (١) . اما عن الابن فقيل « نطق قلبى بكلمة صالحة » (٢) ودانيال عرف ابن الله، وعرف اعمال الله . فالابن رآه وهو يطفىء اتون النار (٣) ، وعن الاعمال قال « باركى الرب يا جميع اعمال الرب (٤) وبعد ذلك ذكر المخلوقات كلا على حدة . لكنه لم يذكر الابن ضمنها ، لانه كان يدرك انه ليس ضمن تلك الأعمال. فيه اتت تلك الاعمال إلى الوجود ، وهو مسبح فى الآب وممجد. وكما ان الآب معلن فيه للذين يعرفونه ، كذلك فيه تعطى للاب « البركة والكرامة والمجد والسلطان » (٥) ، فيه وبه ، لكى تكون هذه « مقبولة » (٦) حسب تعبير الكتاب .

من هذه الأقوال ـ التى انتخبناها من كثير ـ بينا ونبين الآن ان من يقول بان كلمة الله خليقة انما هو ملحد

(١) مز ١٤٨ : ٥ (٢) مز ٤٥ : ١ (٣) انظر دا ٣ : ٢٥
(٤) تسبيحة الفتية الثلاثة ٣٥ (٥) رؤ ٥ : ١٣ (٦) ١ بط ٢ : ٥

الرسالة الثالثة

١

لعلك تعجب لماذا عندما طلب منى ان الخص وان اشرح بايجاز الرسالة التى كتبتها عن الروح القدس تجدنى كأننى قد طرحت بحثى عن هذا الموضوع جانبا وكتبت ضد من تهجموا على ابن الله قائلين أنه مخلوق . لكننى واثق انك لن تلومنى عندما تعلم السبب ، ويقينا ان تقواكم سترحبون بالامر الواقع عندما تدركون انه معقول « فربنا نفسه قال ان البارقليط « لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به . . لانه يأخذ مما لى ويخبركم » [١] وإذ نفخ فى وجه التلاميذ اعطاهم الروح القدس من عنده ، وبهذه الكيفية سكبه الاب « على كل بشر » [٢] كما هو مكتوب .

اذن فكان طبيعيا ان اتحدث اولا واكتب عن الابن حتى اذا ما عرفنا الابن امكن ان تكون لنا معرفة حقيقية بالروح . لاننا سوف نتبين ان علاقة الروح القدس بالابن تماثل تماما علاقة الابن بالآب التى تبيناها . وكما قال الابن « كل ما للاب هو لى » [٣]

(١) يو ١٦ : ١٣ و ١٤ (٢) يو ٢٠ :٢٢ ، يوئيل ٢ : ٢٨

(٣) يو ١٦ ، ١٥

هكذا سوف نتبين ان كل هذه الأشياء (التى للآب وللابن) هى فى الروح القدس ايضا بالابن . وكما شهد الآب للابن قائلا «هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت» [١] هكذا أيضا قيل عن الروح القدس انه روح الابن ، لأن الرسول يقول «ارسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخا يا أبا الآب» [٢]

ومما هو جدير بالاعتبار انه كما قال للابن «كل ما هو لى فهو للآب» [٣] هكذا الروح القدس ، الذى قيل عنه أنه هو روح الابن ، هو أيضا روح الآب : لأن الابن نفسه يقول «ومتى جاء المعزى الذى سارسله انا اليكم من الاب روح الحق الذى من عند الاب ينبثق فهو يشهد لى» [٤] . وكتب بولس قائلا «ليس أحد من الناس يعرف امور الانسان الا روح الانسان الذى فيه . هكذا أيضا أمور الله لا يعرفها احد إلا روح الله . ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنرى الأشياء الموهوبة لنا من الله» [٥] وفى كل الكتاب المقدس نرى أن

---

(١) مت ٣ : ١٧
(٢) غل ٤ : ٦
(٣) يو ١٧ : ١٠
(٤) يو ١٥ : ٢٦
(٥) ١ كو ٢ : ١١ و ١٢

الروح القدس الذى يقال عنه إنه هو روح الابن يقال عنه أيضا أنه هو روح الآب .

هذا مادونته فى رسالتى السابقة[١] . لذلك فإن كان الابن ليس مخلوقا بسبب علاقته الكاملة مع الآب ولأنه مولود من جوهره ، لكنه مساو للآب فى الجوهر ، فلا يمكن أن يكون الروح القدس بالتالى مخلوقا ، وذلك بسبب علاقته الكاملة مع الابن الذى به أعطى لكل البشر ، والذى له كل ما للابن . ومن الوقاحة أن يدعى كذلك .

٢

هذه البراهين كافية لايقاف أى واحد مكابر عن الاستمرار فى القول أن روح الله خليقة ، الذى هو فى الله ويفحص أعماق الله ، والذى يعطى من الآب بالابن ، لئلا يضطر من هذا إلى القول بأن الابن أيضا مخلوق وهو الكلمة ، والحكمة ، والصورة ، والشعاع ، الذى متى رأيناه رأينا الآب ، ولئلا يسمع أخيرا هذه الكلمات « كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضا »[٢] . لأن انسانا كهذا

---

(١) الرسالة الأولى ٢٠ و ٣٠ الخ (٢) ١ يو ٢ : ٢٣

سوف يقول سريعا مع الجهال « ليس إله »[١] .

ومع ذلك فلكى تكون اجابتنا للوقحين اكثر قوة يحسن استخدام تلك البراهين التى تبين أن الابن ليس مخلوقا ، وذلك لكى نبرهن أن الروح ليس مخلوقا . فالمخلوقات أتت من العدم ، ولوجودها بداية . لأنه « فى البدء خلق الله السماء والأرض »[٢] وما فيهما . وقيل عن الروح القدس أنه من الله (هذا ما قاله الرسول) . وأن كان الابن لا يمكن أن يكون خليقة لأنه لم يأت من العدم بل من الله ، يتحتم بالضرورة أن لا يكون الروح مخلوقا لأننا قد اعترفنا أنه اتى من الله ، أما المخلوقات فهى التى تأتى من العدم .

٣

وقيل أيضا عن الروح القدس — وهذا هو الواقع فعلا — أنه مسحة وأنه ختم . لأن يوحنا كتب قائلا « وأما انتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد

(١) مز ١٤ : ١ (٢) تك ١ : ١

بل كما تعلمكم مسحته ، روحه ، عن كل شيء » (١) . وكتب في اشعيا « روح الرب على لأنه مسحني » (٢) وكتب بولس قائلا « الذى فيه أيضا إذ آمنتم ختمتم » (٣) . وقال أيضا « ولا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء » (٤) . فالخليقة تمسح وتختم فيه : وإن كانت الخليقة تمسح وتختم في الروح القدس فلا يمكن أن يكون مخلوقا . لأن الماسح لا يمكن أن يماثل الممسوح . وعلاوة على ذلك فإن هذه المسحة هي نسمة الابن ، ولهذا يقول من حصل على الروح القدس « نحن رائحة المسيح الزكية » (٥) .

والختم يعطى طابع الابن ، فالمختوم تكون له صورة الابن كما يقول الرسول « يا أولادى الذين اتمخض بكم أيضا إلى أن يتصور المسيح المسيح فيكم » (٦) . وان كان الروح القدس هو رائحة الابن الزكية وصورته فواضح أنه (الروح القدس) لا يمكن أن يكون مخلوقا . لأن الابن أيضا ليس مخلوقا إذ هو « في صورة الآب » (٧)

---

(١) ١ يو ٢ : ٢٧ (٢) اش ٦١ : ١ (٣) اف ١ : ١٣
(٤) اف ٤ : ٣٠ (٥) ٢ كو ٢ : ١٥
(٦) غل ٤ : ١٩ (٧) في ٢ : ٦

وعلاوة على هذا فإنه كما أن من يرى الابن يرى الآب أيضا، هكذا من له الروح القدس له الابن أيضا، وإذ يكون له يصبح هيكلا لله. لأن بولس كتب قائلا «أما تعلمون إنكم هيكل الله وأن روح الله يسكن فيكم» (١). ويقول يوحنا «بهذا نعرف أننا نثبت فى الله وهو فينا لأنه قد أعطانا من روحه» (٢). وإن كنا قد اعترفنا بأن الابن ليس مخلوقا لأنه فى الآب، والآب فيه، فإن الروح القدس أيضا لا يمكن أن يكون مخلوقا لأنه فى الابن، والابن فيه. ولذلك فإن من يقبل الروح القدس يدعى هيكلا لله.

بالإضافة إلى هذا يحسن التطلع إلى الموضوع فى ضوء الاعتبارات التالية. ان كان الابن هو كلمة الله فانه واحد كما أن الآب واحد، لأنه «يوجد إله واحد الذى منه جميع الأشياء ورب واحد يسوع المسيح» (٣) ولذلك يدعى فى احاديثنا وفى الأسفار المقدسة «الابن الوحيد». أما المخلوقات فهى كثيرة ومتنوعة: ملائكة، رؤساء ملائكة، كروبيم، رئاسات، قوات، وما إلى ذلك كما قدمنا (٤). وإن كان كان الابن ليس مخلوقا لأنه ليس واحدا

---

(١) ١ كو ٣ : ١٦ (٢) ١ يو ٤ : ١٣
(٣) ١ كو ٨ : ٦ (٤) رسالة ٢ : ٤

من بين كثيرين ، بل هو واحد كما أن الآب واحد ، فإن الروح القدس أيضا (لأننا يجب أن نستقى معلوماتنا عن الروح القدس من الابن) لا يمكن أن يكون مخلوقا ، لأنه ليس واحدا من بين كثيرين ، بل هو واحد .

٤

هذا ما كان يدركه الرسول حين قال « هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء » [١] . وبعد ذلك بقليل يقول « لأننا جميعا بروح واحد أيضا اعتمدنا إلى جسد واحد ... وجميعنا سقينا روحا واحدا » [٢]

ومرة أخرى نقول : إن كان يجب أن نستقى معلوماتنا عن الروح القدس من الابن فخليق بنا أن نقدم البراهين مستقاة منه . إن الابن موجود فى كل مكان [٣] ، لأنه فى الآب ، والآب فيه وهو يهيمن على الكل وحاضر فى الكل ، وكما هو مكتوب « فيه خلق الكل ما يرى وما لا يرى وهو قبل كل شىء » [٤] . أ...

(١) ١ كو ١٢ : ١١ (٢) ١ كو ١٢ : ١٣
(٣) الرسالة ١ : ٢٦ (٤) كو ١ : ١٦ و ١٧

المخلوقات فإنها كائنة فى الأماكن المحددة لهـــا : الشمس والقمر والأنوار الأخرى فى الجلد ، الملائكة فى السماء ، والناس على الأرض .

وان كان الابن ليس مخلوقا لانه غير كائن فى أماكن محددة له ، بل هو فى الآب ، ولأنه كائن فى كل مكان حتى وان كان خارجا عن الكل فانه يتبع هذا ان الروح القدس لا يمكن ان يكون مخلوقا لانه غير كائن فى أماكن محددة له بل يملأ الكل ومع ذلك فهو خارج عن الكل . هكذا كتب « روح الرب ملأ العالم »[١] . ويترنم داود قائلا « الى اين اذهب من روحك »[٢] . وحيث انه لا يحده اى مكان بل هو خارج عن الكل وهو فى الابن كما أن الابن فى الآب ، إذاً فهو ليس مخلوقا كما برهنا .

وقبل كل شيء فان الاعتبارات التالية تؤيد شجب الهرطقة الاريوسية ، ومرة اخرى نوضح من الابن ما نعرفه عن الروح القدس . فالابن خالق مثل الآب[٣] لانه يقول « الأشيـــاء التى انظر الرب يعملها هذه اعملها كذلك »[٤] وحقا أن « كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان »[٥] وان كان الابن ليس مخلوقا

(١) حكمة ١ : ٧ (٢) مز ١٣٩ : ٧ (٣) الرسالة ١ : ٢٤
(٤) يو ٥ : ١٩ (٥) يو ١ : ٣

لانه خالق مثل الآب ، وان كان لا ينتمى المخلوقات لان كل الأشياء به خلقت ؛ فواضح اذن ان الروح القدس ليس مخلوقا لانه كتب عنه فى المزمور المائة والثالث « تنزع ارواحها فتموت والى ترابها تعود . ترسل روحك فتخلق .وتجدد وجه الأرض »(١)

وواضح مما كتب ان الروح القدس ليس مخلوقا بل يشترك فى عملية الخلق . فالآب يخلق كل شىء بالابن فى الروح القدس ، لأنه حيث وجد الكلمة وجد الروح القدس ايضا(٢) . والأشياء التى خلقت بالكلمة تستمد قوتها الحيوية من الروح القدس بالكلمة . هكذا كتب فى المزمور الثانى والثلاثين « بكلمة الرب صنعت السموات وبروح فيه كل قوتها »(٣) .

وهكذا اتضح ان الروح لا ينفصل عن الابن ، حتى أن مادون الان لا يترك اى مجال للشك.عندما جاء الكلمة على النبى(٤) كان النبى يتكلم فى الروح القدس بما قبله من الكلمة . هكذا كتب فى سفر الأعمال عندما قال بطرس « ايها الأخوة كان ينبغى ان يتم هذا المكتوب الذى سبق الروح القدس فقاله »(٥). وفى زكريا كتب عندما حل عليه الكلمة «لكن اقبل كلامى وفرائضى

(١) مز ١٠٤ : ٢٩ و ٣٠ (٢) انظر فيما تقدم ١ : ٤
(٣) مز ٣٣ : ٦ (٤) انظر ١ : ٣١ اعلاه (٥) اع ١ : ١٦

التى اوصى بها الأنبياء بروحى »(١) وعندما وبخ الشعب بعد ذلك بقليل قال « جعلوا قلبهم عنيداً لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذى ارسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الاولين »(٢) . وعندما تكلم المسيح فى بولس — كما قال بولس نفسه « انتم تطلبون برهان المسيح المتكلم فى »(٣) ـ لم يكن أحد يمنحه قوة الكلام سوى الروح القدس ، لانه يكتب قائلا « حسب موازرة روح يسوع المسيح لى »(٤) . وأيضا عندما تكلم المسيح فيه قال « غير ان الروح القدس يشهد فى كل مدينة قائلا ان وثقا وشدائد تنتظرنى »(٥) والروح القدس ليس خارجا عن الكلمة بل لأنه فى الكلمة فانه فى الله بالكلمة . وهكذا تمنح المواهب الروحية فى الثالوث ، لانه كما كتب لاهل كورنثوس عن توزيعها : الروح واحد ، والرب واحد ، والله واحد ، الذى يعمل الكل فى الكل (٦) . لان الآب نفسه يعمل كل شىء ويمنح كل شىء بالكلمة فى الروح القدس

٥

ويقينا أنه عندما صلى لأجل أهل كورنثوس صلى فى الثالوث

(١) زك ١ : ٦ (٢) زك ٧ : ١٢ (٣) ٢ كو ١٣ : ٣
(٤) فى ١ : ١٩ (٥) اع ٢٠ : ٢٣ (٦) ١ كور ١٢ : ٤ - ٦

قائلا « نعمة الرب يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم »[١] . لأننا إذ تكون لنا شركة فى الروح القدس تكون لنا نعمة الكلمة وتكون لنا أيضا محبة الآب فى الكلمة . وكما أن نعمة الثالوث واحدة هكذا أيضا لا يمكن أن يتجزأ الثالوث . هذا يمكن أن نراه فيما قيل للقديسة مريم نفسها . فان رئيس الملائكة جبرائيل لما أرسل لكى يعلن حلول الكلمة عليها قال « الروح القدس يحل عليك » عالما أن الروح القدس فى الكلمة . وبعد ذلك مباشرة أضاف قائلا « وقوة العلى تظللك »[٢] ، لأن المسيح هو قوة الله وحكمة الله[٣] .

وإن كان الروح القدس فى الكلمة فواضح أن الروح القدس فى الله أيضا بالكلمة . وكذلك أيضا عندما يأتى إلينا الروح القدس فانه يأتى إلينا أيضا الابن والآب ، وفينا يصنعون منزلا ، لأن الثالوث غير متجزىء ، ولاهوته واحد ، ويوجد إله واحد « على الكل وبالكل وفى الكل »[٤]

هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة، لأن الرب أسسها فى الثالوث، وأصلها فيه عندما قال لتلاميذه « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم

---

(١) ٢ كو ١٣ · ١٤ (٢) لو ١ : ٣٥
(٣) ١ كو ١ : ٢٤ (٤) اف ٤ : ٦

وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس »(١) . فلو كان الروح مخلوقا لما كان قد أحصاه مع الآب ، لئلا يصبح الثالوث غير متناسق مع بعضه لو أنه أحصى ضمنه من هو غريب عنه . لأنه أى شيء كان ينقص الله حتى يتخذ لنفسه من هو غريب عنه فى الجوهر ويشاركه مجده ؟ حاشا ، ليس الأمر كذلك . فانه هو نفسه قال « أنا كامل » . لذلك أحصى الرب الروح القدس مع اسم الآب ليبين أن الثالوث ليس مكونا من عناصر مختلفة ، اعنى خالق ومخلوق . بل ان لاهوته واحد . ولأن بولس كان يدرك هذا فقد نادى بوحدة النعمة المعطاة فى الثالوث قائلا « رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة »(٢) . وكما أن هنالك معمودية واحدة هكذا هنالك ايمان واحد . لان من يؤمن بالآب فانه يعرف الابن فى الاب ، وهو لا يعرف الروح القدس بدون الابن . لذلك فإنه يؤمن أيضا بالابن والروح القدس . لان لاهوت الثالوث واحد اذ قد أعلن من واحد أى من الآب .

٦

بهذه الاصطلاحات يعبر عن ايمان الكنيسة الجامعة . اما عن

(١) مت ٢٨ : ١٩ (٢) أف ٤ : ٥

أولئك الذين يجدفون على الروح القدس ويدعونه مخلوقا فإن كان ماذكرناه لايدفعهم الى التوبة فلعل ماسوف نقوله الآن يغطيهم بالخزى .

ان كان هنالك ثالوث ، وان كان الإيمان ايمانا فى ثالوث ، فليخبرونا ان كان ثالوثا بصفة مستمرة ام كان هنالك وقت لم يكن فيه ثالوثا . ان كان الثالوث ازليا فإن الروح القدس ليس مخلوقا لأنه مساو فى الوجود الأزلى مع الكلمة .وهو فيه . اما عن المخلوقات فقد كان هنالك وقت لم تكن فيه موجودة . فلو كان (الروح القدس) مخلوقا ، والمخلوقات خلقت من العدم ، فواضح انه كان هنالك وقت لم يكن فيه الثالوث ثالوثا بل ثنائيا (١) . وهل هنالك وقاحة أقبح يمكن أن ينطق بها انسان ؟ انهم يقولون ان وجود الثالوث ينسب إلى التغيير والارتقاء ، وانه كان ثنائيا وانتظر حتى يولد مخلوق يحصى مع الآب والابن ويكون معهما ثالوثا . وحاشا أن تقبل عقول الشعب المسيحى رأيا كهذا . وكما أن الابن ليس مخلوقا لأنه كائن دواما ، هكذا لا يمكن أن يكون هنالك مخلوق فى الثالوث لأنه كائن دواما . لذلك فإن الروح ليس مخلوقا.

---

(١) انظر ١ : ٢٩ فيما تقدم

كما كان بصفة مستمرة هكذا هو الآن ، وكما هو الان هكذا كان بصفة مستديمة هو الثالوث ، الآب والابن والروح القدس . والله واحد الذى هو «على الكل وبالكل وفى الكل »[١] الذى هو « مبارك إلى الأبد آمين »[٢] .

كتبت هذا بإيجاز كطلبك ، وها أنا أرسله إليك . فان وجدت فيه نقصا تفضل وكمله كرجل عليم . اقرأه لأهل الايمان[٣] . وادحض من يحبون النزاع والكلام الشرير . لعلهم ـ ولو بتوبة متأخرة ـ يغسلون نفوسهم من ذلك الاعوجاج الذى كان فيهم سابقا . خير لهم كما هو مكتوب « ان يتباعدوا ولا يبطئوا » لئلا يسمعوا ـ بسبب تباطؤهم ـ ما نطق به الرب «من جدف على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى »[٤] .

---

(١) اف ٤ : ٦ (٢) رو ٩ : ٥

(٣) غل ٦ : ١٠ (٤) مت ١٢ : ٣٢

الرسالة الرابعة

رسالة من نفس الكاتب إلى سرابيون نفسه

عن الروح القدس ايضا

١

تصفحت الرسالة التى كتبتها تقـــوا كم الان ، وقد ملأتنى وقاحة الهراطقة دهشة حتى وصلت إلى هذه النتيجة وهى انه لا يليق ان يقال عنهم شيء افضل من النصيحة التى قدمها بولس « الرجل المبتدع بعد الانذار مرة ومرتين اعرض عنه عالما ان مثل هذا قد انحرف وهو يخطىء محكوما عليه من نفسه »[1] فهو — لان عقله ملتو — لا يريد ان يسأل ليسمع ويقتنع ، او يتعلم ليتوب ، بل بسبب اولئك الذين قد اضلهم ، لئلا يحكم عليه منهم أيضا إذا لزم الصمت . ان ما سبق أن قلناه كان فيه الكفاية . كان يكفى لو انهم بعد تقديم مثل هذه البراهين اليهم قد كفوا عن التجديف على الروح القدس . لكنهم لم يكتفوا ، وهم مرة أخرى يتمادون فى وقاحتهم لكى يبينوا أنهم وقد تدربوا على محاربة الكلمة يحاربون

(١) تى ٣ : ١٠ و ١١

الآن الروح القدس، وسوف يموتون سريعا فى حماقتهم . لاننا ان أردنا الإجابة على اسئلتهم الحالية لما أمكن ان نقول عنهم أقل من انهم « مبتدعون شروراً »[١] . وهم اذ يطلبون لا يجدون ، وإذ يسمعون لا يفهمون . هذه هى فحوى أسئلتهم الرشيدة انهم يقولون: ان كان الروح القدس ليس مخلوقا فهو اذن ابن، ويكون هو والكلمة اخوين ثم انهم — كما كتبتم — يضيفون قائلين ان كان الروح القدس يأخذ مما للابن[٢] ، ويعطى منه (كما هو مكتوب) لنتج من هذا أن الآب جد وان الروح القدس حفيده .

٢

من ذا الذى اذا سمع هذا يعتبرهم بعد مسيحيين ولا يقول عنهم انهم بالأحرى وثنيون ؟ لأن هذا ما يتحدث به الوثنيون عنا بينهم وبين أنفسهم . من ذا الذى يفكر فى الرد على حماقتهم هذه ؟ أما من جهتى ، فإنى بعد البحث عن جواب مناسب، وبعد تفكير طويل، لا أجد جوابا سوى ذلك الذى أعطى للفريسيين قديما[٣] . لأنه كما أن المخلص لما سأله الفريسيون بخبث سألهم هو بدوره لكى يدركوا التواء تفكيرهم ، هكذا أيضاً عندما يسألون أسئلة كهذه

(١) رو ١ : ٣٠ (٢) يو ١٦ : ١٤

(٣) الاشارة هنا إلى ماورد فى مر ١١ : ٢٧ — ٣٣

فليخبرونا ، بل بالحرى ليجيبونا إذا سئلوا كما سألوا . وأن كانوا لا يدركون اختراعاتهم عندما يتكلمون ، فلعلهم يدركون حماقتهم عندما يسمعون . ان لم يكن الروح القدس مخلوقا ، كما بينا فى كتاباتنا السابقة ، بل هو فى الله ، وهو يعطى من الله ، فهو إذن ابن ، ويكون هنالك أخوان ، هو والكلمة . وإن كان الروح القدس هو روح الابن ، ويقبل كل شىء من الابن ، كما قال الابن نفسه ، وان كان هو الذى أعطاه للتلاميذ اذ نفخ فى وجوههم (لانكم أنتم أيضا تعترفون بهذه الحقائق) فينتج من هذا أن الآب جد وان الروح القدس حفيده . انه من العدل أن توجه إليكم من نفس الكتاب المقدس نفس هذه الأسئلة التى تطلبون منا إجابة عليها فى اسئلتكم . إن أنكرتم تلك الحقائق المكتوبة لما أمكن ان تدعوا مسيحيين ، ولكان من الصواب ان توجه الينا نحن المسيحيين الأسئلة منكم . أما إن قرأتم نفس الكتاب المقدس الذى نقرأه لوجب أن نسألكم نحن أيضا نفس الأسئلة . أخبرونا إذن — ولا تترددوا — إن كان الروح القدس ابنا والآب جداً .

أما أن كنتم تناجون بعضكم بعضا ـ كما فعل الفريسيون فى القديم ـ قائلين : إن قلنا انه (الروح القدس) ابن سمعنا ذلك السؤال اين كتب هذا . وإن قلنا انه ليس ابنا نخشى لئلا يقولوا لنا إذن كيف هو مكتوب ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله ، [١] . اما إن قلتم انتم أيضا ـ بعد أن تناقشوا بهذه الأمور بين انفسكم ـ لا نعلم ، لوجب أن الذى تسألونه هذه الأسئلة يصمت ايضا اطاعة لمن قال ، لا تجاوب الجاهل حسب حماقته لئلا تعدله [٢] انت ايضا . جاوب الجاهل حسب حماقته لئلا يكون حكيما فى غروره ، [٣] . فالصمت هو ابلغ رد لكم لكى تدركوا جهلكم.

٣

ومن العدل ايضا أن توجه اليكم الأسئلة ـ بالكيفية التالية من نفس الأسئلة التى تسألونها : ان كان الأنبياء يتكلمون فى روح الله ، وان كان الروح القدس تنبأ فى إشعيا [٤] كما أوضحنا فى كتاباتنا السابقة ، فيكون الروح إذن كلمة الله ، ويكون هنالك

---

(١) ١ كو ٢ : ١٢ (٢) أى تكون معادلا له

(٣) ام ٢٦ : ٤ و ٥ (٤) الارجح انه يشير إلى ما ورد فى اش ٦١ : ١

كلمتان ، الروح والابن ، لأن الأنبياء تنبأوا عندما حل عليهم الكلمة . وعلاوة على هذا إن كانت كل الأشياء خلقت بالكلمة «وبغيره لم يكن شيء مما كان »[١] ، وان كان « الرب بالحكمة أسس الأرض »[٢] ،وان كانت الأشياء « كلها بحكمة صنعت »[٣] ، وان كان قد كتب كما ذكرنا فى كتاباتنا السابقة « ترسل روحك فتخلق » [٤] فإما أن يكون الروح القدس هو الكلمة ، أو ان الله خلق كل الأشياء فى شخصين ، اى فى الحكمة وفى الروح القدس . فكيف يقول إذن بولس « اله واحد .... الذى منه جميع الأشياء . ورب واحد الذى به جميع الأشياء»[٥]. وأيضا إن كان الابن هو « صورة الله غير المنظور »[٦] ، والروح صورة الابن [٧] ، لأنه مكتوب « ان الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه»[٨]، فينتج من هذا إذن أن الآب جد . وإن كان الابن قد اتى باسم الآب ، وقد قال الابن

---

(١) يو ١ : ٣ (٢) ام ٣ : ١٩ (٣) مز ١٠٤ : ٢٤
(٤) مز ١٠٤ : ٣٠ (٥) ١ كو ٨ : ٦ (٦) كو ١ : ١٥
(٧) انظر فيما تقدم ١ : ٢٠ ، ١ : ٢٤
(٨) رو ٨ : ٢٩

« الروح القدس الذى سيرسله الاب باسمى »[١] إذن يكون الآب ايضا جداً . ماذا تقولون لهذا انتم الذين تجيبون بتهور على كل شىء ؟ بماذا تتناجون بينكم وبين انفسكم ؟ اتخطئون اسئلة كهذه الآن اذ ترون انفسكم فى حيرة ؟ يجب ان تلوموا انفسكم اولا لانكم اعتدتم ان تسألوها ، واصغوا إلى الاسفار المقدسة. وان أعوز تكم الكلمات فتعلموا اخيراً. فى الأسفار المقدسة لم يدع الروح ابنا ، بل دعى الروح القدس وروح الله. وكما ان الروح لم يدع ابنا هكذا لم يكتب عن الابن انه الروح القدس . فان كان الروح لم يدع ابناً ولا كتب عن الابن انه الروح فهل تتناقض العقيدة مع الحق ؟ حاشا . بل بالحرى ان كلا من الاصطلاحات السابق ذكرها له معناه الخاص . فالابن مولود مساو للاب فى الجوهر والطبيعة . هذا هو المعنى الذى يحمله هذا الاصطلاح . والروح الذى يقال عنه أنه هو روح الله ، وانه فى الله ، ليس غريبا فى طبيعته عن الابن أو عن لاهوت الآب . لذلك فإنه يوجد لاهوت واحد فى الثالوث ، فى الآب والابن والروح القدس نفسه ، وتوجد فى نفس الثالوث معمودية واحدة وإيمان واحد . فعندما

---

(١) يو ١٤ : ٢٦

يرسل الاب الروح فان الابن هو الذى يعطيه للتلاميذ بنفخه فى وجوههم . لأن كل ما للاب هو للابن(١). عندما جاء الكلمة إلى الأنبياء تنبأوا بالروح كما هو مكتوب وكما أوضحنا ،« بكلمة الرب صنعت السماوات وبنسمة فيه كل جنودها » (٢)

٤

هكذا رأينا ان الروح ليس مخلوقا بل هو مساو للكلمة فى الجوهر ، ومساو لله الذى هو فيه . ومرة أخرى يجب أن لا نحجم عن التكرار .

مع أن الروح القدس لم يدع ابنا لكنه ليس خارجا عن الابن لانه دعى « روح التبنى » (٣) . وكما أن المسيح هو « قوة الله وحكمة الله » (٤) فقد قيل بحق عن الروح أنه « روح الحكمة » (٥) و« روح القوة » (٦) . وعندما نشترك فى الروح يكون لنا الابن،

---

(١) يو ١٦ : ١٥ (٢) مز ٣٣ : ٦
(٣) رو ٨: ١٥ (٤) ١ كو ١: ٢٤
(٥) اش ١١ : ٢ (٦) سفر الحكمة ٥ : ٢٣ ، ١١ : ٢٠

وعندما يكون لنا الابن يكون لنا الروح (كما قال بولس) صارخا في قلوبنا «ياابا الآب» [١]. لكننا إذ نرى أن الروح هوروح الله، وأن الكتاب المقدس قال عنه أنه فيه لأن «امورالله لا يعرفها أحد إلا روح الله الذى فيه» [٢]. وأن الابن قال «أنا فى الآب والآب فى»، فلماذا لم يعط لهذين الاثنين اسم واحد بل دعى الواحد ابنا، والآخر الروح؟ إن سأل أى واحد سؤالا كهذا فلابد أن يكون مجنونا. لأنه يفحص عمن لا يمكن فحصه، ويعصى الرسول القائل «من عرف فكر الرب أو من صار له مشيرا» [٣]. وأيضا من ذا الذى يجرؤ أن يعطى اسما آخر لمن سماه الله؟ والا فليعط اسماء للمخلوقات. وطالما كانت المخلوقات قد أتت إلى الوجود بأمر واحد فليخبرونا لماذا دعى أحدها شمسا والآخر سماء والآخر أرضا ثم بحرا ثم هواء. وأن وجد الحمقى أن هذا مستحيل — لأن كل شىء باق كما خلق — فبالأحرى جدا يكون للتى هى اسمى من المخلوقات ثبات أبدى، وبالتالى يكون الآب ابا لا جدا، والابن

---

(١) غل ٤ : ٦

(٢) ١ كو ٢ : ١١

(٣) رو ١١ : ٣٤

ابن الله لا اب الروح ، والروح القدس روحا قدوسا لا حفيد الآب أو اخ الابن .

٥

وإذ قدمنا البراهين على هذه الأمور فإنه لا شك يكون مجنونا من يسأل : هل الروح ابن أيضا وإن كان هذا لم يكتب فيجب أن لا يفصله أحدعن طبيعةالله أوعما هو لائق بالله . يجب إن يكون إيمانهمطابقا للمكتوب دون أن يقول لماذا كان هكذا ، ولماذا لم يكن هكذا . لئلا يخرج من مناقشةهذه الأمور بالقول : وأين هو الله ؟ولئلا يسمع أخيرا هذهالكلمات « قال الجاهل فى قلبه ليس إله »[(١)] . إن تقاليد الإيمان لاتدرك بالبحث الوقح . عندما سمع التلاميذهذهالكلمات «وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»[(٢)] لم يسألوا بوقاحة لماذا ذكر اسم الابن فى المرتبة الثانية والروح فى المرتبة الثالثة ، أو لماذا يكون الكل ثالوثا . لكنهم آمنوا لما سمعوا . لم يسألوا كما تسألون : هل الروح إذن ابن ؟ وعندما ذكر الرب اسم الروح بعد الابن لم يسألوا : هل الاب إذن جد ؟

---

(١) مز ١٤ : ١ (٢) مت ٢٨ : ١٩

لأنهم لم يسمعوا هذه العبارة « باسم الجد » بل « باسم الآب » . لقد آمنوا إيمانا راسخا ، وكرزوا بهذا الإيمان فى كل مكان . لأنه لم يكن ممكنا أن توضع (العبارة) فى غير الوضـــع الذى وضعه المخلص أنه هو نفسه الابن وأن لآخر هو الروح القدس .

كما أنه لم يكن لائقا تغيير الترتيب الذى رتبوا بموجبه . هذا ينطبق على الآب أيضا . فكما أنه لا يجوز التحدث عنه بأى تغيير آخر خلاف الآب ، كذلك من الوقاحة التساؤل إن كان الابن هو الروح أو إن كان الروح ابنا . لهذا حكم على صابا ليوس كخارج على الكنيسة ، لأنه تجرأ على أن يلقب الاب بالابن وأن يلقب الابن باسم الاب .

ايجرؤ أى واحد بعد هذا أن يتساءل ـــ عندما يسمع لفظى الابن والروح ـــ إن كان الاب جدا ؟ أو يتساءل أن كان الروح ابنا؟ نعم انهم يجرؤون ، وهؤلاء هم اتباع اونوميوس ويودوكسيوس ويوسابيوس . فإنهم عندما يتمسكون بالهرطقة الأريوسية لا يضبطون لسانهم عن التجديف . من ذا الذى سلمهم هذه الأمور ومن هو معلمهم ؟ لا شك أنه لم يعلمهم أحد من الأسفار الإلهية(١) لكن هذه الحماقة خرجت من فضلة قلوبهم .

---

(١) أنظر أعلاه ١ : ٢٤ ، ٣ : ٤

٦

وإن سألتم : هل الروح إذن ابن ؟ كان لزاما عليكم أيضا أن تسألوا : هل الابن إذن آب لأننا أوضحنا أنه ليس مخلوقا. لأنكم قدعرفتم أنه ليس خليقة كما أنه به خلقت كل المخلوقات . أو بعبارة أخرى : هل الروح هو الابن ، وهل الابن نفسه هو الروح القدس؟ ان كان هذا اعتقادهم وجب أن يقطعوا من الثالوث المقدس وأن يحكم عليهم بأنهم ملحدون ، لأنهم يغيرون أسماء الاب والابن والروح القدس ، مشبهينهم بالنسل البشرى ، إذ يسمونهم حفدة وأجداداً ومبتدعين لأنفسهم تناسل آلهة الوثنيين . ليس هذا هو إيمان الكنيسة ، لكن إيمانها هو - كما قال المخلص - باسم الاب والابن والروح القدس ، الاب الذى لا يمكن أن يسمى جداً ، والابن الذى لا يمكن أن يسمى أباً ، والروح القدس الذى لا يمكن أن يطلق عليه اسم آخر .

هذا الإيمان لا يجيز تبادل الاصطلاحات . فالآب أب بصفة مستمرة ، والابن ابن بصفة مستمرة والروح القدس يدعى الروح القدس بصفة مستمرة . أما فى العلاقات البشرية فليس الأمر كذلك بالرغم من ضلالات الأريوسيين ، وكما هو مكتوب « ليس الله إنسانا » (١) ، وهكذا نستطيع القول

(١) عد ٢٣ : ١٩

إن البشر ليسوا كالله. لأنه فى حالة البشر الأب ليس أبا بصفة مستمرة ولا الابن ابنا بصفة مستمرة فالرجل الواحد يصير أباً لابن ، وقبل أن يكون أبا كان ابناً لرجل آخر . والابن وهو ابن أبيه يصبح أبا لشخص آخر. فإبرهيم مثلا وهو ابن ناحور صار أبا لاسحق، واسحق وهو ابن إبرهيم صار أبا ليعقوب فكل واحد يولد ابناً جزءاً من أبيه، ثم يصبح هو نفسه أبا لغيره . أما مع اللاهوت فليس الأمر كذلك ، لأن الله ليس إنسانا . فالله الآب لم يولد من أب، وهو لم يلد ابنا ليكون أبا لغيره . ولا الابن جزء من الاب ، ولا هو مولود يلد ابنا . لذلك ففى اللاهوت وحده الآب كان ابا ولا يزال أبا وسوف يستمر أبا ، لأنه أب بحصر المعنى ، وهو أب فقط . والابن ابن بحصر المعنى وهو ابن فقط . والآب يدعى أبا بصفة مستمرة ، والابن ابنا ، والروح القدس هو الروح القدس بصفة مستمرة الذى نؤمن أنه هو روح الله وأنه يعطى من الاب بالابن . وهكذا يكون الثالوث المقدس غير قابل للتغيير وفى لاهوت واحد .

إذن فإن من يسأل : هل الروح ابن ؟ كأن الاسم يمكن أن يتغير ، فانه قد ضل ويصم نفسه بالجنون . ومن يسأل : هل الإب جد ؟ باختراع اسم جديد للآب . فانه يخطىء فى قلبه . وليس من الصواب تقديم أية إجابة أخرى ردا على وقاحة

الهراطقة ، لأن فى هذا مخالفة لوصية الرسول[١]. والأخرى تقديم النصيحة التى أمر بها .

٧

هذه الأقوال كافية لدحض أحاديثكم الخرقاء . فلا تهزأوا فيما بعد باللاهوت . لأنه من عادة المستهزئين أن يوجهوا الاسئلة غير المدونة[٢] وأن يقولوا : إذن فالروح ابن والآب جد . هكذا يهزأ الذى من قيصرية والذى من سكيثوبوليس[٣] . يكفيكم أن تؤمنوا بأن الروح ليس مخلوقا ، بل هو روح الله ، وأن فى الله ثالوثا ، الاب والابن والروح القدس . ولاحاجة لاستعمال هذا الاسم « أب الابن » ، وليس صوابا القول إن الروح هو الابن ، أوإن الابن هوالروح القدس . بل أن الصواب هو ماذكرناه . فاللاهوت الذى فى هذا الثالوث واحد وفيه إيمان واحدومعمودية واحدة . وواحدهو التعليم فى يسوع المسيح ربنا الذى به وله المجد والقوة مع الآب والروح القدس إلى كل الدهور آمين .

---

(١) الواردة فى تى ٣ : ١٠ والسابق الاشارة اليها فى مقدمة هذه الرسالة . (٢) أى فى الكتاب المقدس

(٣) يشير إلى اكاشيوس وبتروفيلوس



الثمن ٥ قروش

المطبعة المتحدة
٣٤ ش نجيب الريحاني القاهرة ت: ٩٢٩٩٦٩